الفصل الثالث

منهجية الحوار

- المبحث الأول: الأصول والقواعد الرئيسة للحوار (مقومات الحوار).
- المبحث الثاني: بين الجدل والحوار.
- المبحث الثالث: موضوعات الحوار.
- المبحث الرابع: آداب الحوار.
- المبحث الخامس: معوقات الحوار.

منهجيـــة الحـوار

المبحث الأول
الأصول والقواعد الرئيسة للحوار

(مقومات الحـوار)

الأصول: هي عبارة عن القواعد الرئيسة الثابتة التي تضبط مسار الحوار، وأما الآداب فهي طريقة الحوار، والقواعد السلوكية التي ينبغي مراعاتها قبل الحوار أو أثنائه أو بعده، والتي تساعد في نجاح الحوار. مع أن هناك تداخلًا وتقاربًا بين الأصول والآداب، فقد يكون من الأصول ما هو أدب يساعد في إنجاح الحوار، ولذلك فإننا نشير إلى بعض الأصول المهمة، والتي يؤسس الحوار عليها:

- **الأصل الأول:** تحديد الهدف، بأن يكون هو الوصول إلى الحق؛ لا لإظهار الغلبة والمجادلة في الباطل، ويدخل ضمن تحديد الهدف أيضًا تحديد القضية التي يدور حولها الحوار، فإن كثيرًا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

إذن لا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، ويكفي مثلًا في ذلك ما يروى عن الإمام الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه)[١].

وقول الإمام الغزالي في الإحياء عند ذكره علامات طلب الحق: (أن يكون في طلب الحق مثل ناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق)[٢].

---

(١) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢٩/١٠).
(٢) الإمام الغزالي: الإحياء: (٥٧/١)

كما يكفي مثلًا في تحديد القضية التي يدور حولها الحوار ما فعله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مناقشته الخوارج. وذلك أنه سألهم أول مرة: ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ فذكروا مسائلهم الثلاث، ثم أخذها مسألة مسألة، وبعد انتهائه من كل مسألة يقول لهم: أخرجت من هذه؟ فيقولون: نعم، ثم ينتقل إلى غيرها وهكذا[١].

- **الأصل الثاني:** الاتفاق على أصل يرجع إليه، والأصول المرجعية عند المسلمين هي الكتاب والسنة، وما كان عليه علماء الأمة، وقد أمر الله بالرد إليه و إلى رسوله ﷺ في عدة آيات كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٥٩]: وقال العلماء: معناه إلى الكتاب والسنة[٢]، فالرد إلى الكتاب والسنة هو الذي يدرأ النزاع بين المتحاورين، ويقضي على الخلاف بين المتنازعين، وبهما يعرف مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسوله ﷺ. ولهذا ذكروا عن شيخ الإسلام ابن تيميه كلامًا ملخصه: (أنه متى تنازع المسلمون في مسألة، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه، ثم يبين سبب ذلك: وهو أنَّ الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، و إذا ردوا إلى عقولهم فكل واحد منهم له عقل)[٣].

فالاتفاق على منهج التلقي والنظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش - خاصة إذا كان علميًّا - يضبط مسار الحوار ويوجه نحو النجاح؛ لأن الاختلاف في المنهج ابتداء سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة. وقد ذكر الإمام الشاطبي - رحمه الله - بعضًا من هذه المناهج غير المنضبطة والتي تناقض هذا الأصل، ومنها:

١- منهج الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا المنهج مرفوض وباطل، و إذا لم يتفق على رفضه فلن يفلح الحوار في أداء نتيجة.

---

(١) الإمام الغزالي: الإحياء: (١/٧٥).
(٢) رياض الصالحين: (باب الأمر بالمحافظة على السنة) ص ٨٦.
(٣) الفتاوى: (٣/٣٤٧، ٢٠/١٦٣).

٢- منهج رد الأحاديث التي توافق الهوى أو المذهب، أو رفض الاستدلال بخبر الآحاد مثلًا، وهو منهج مرفوض أيضًا عند أهل السنة، وسبب في فشل الحوار.

٣- منهج المغالاة في تعظيم المشايخ والاحتجاج بأقوالهم والتعصب لآرائهم، وإن خالف الكتاب والسنة وهو باطل أيضًا، ويفضي إلى مزيد من النزاع والخلاف. إلى غير ذلك من مناهج باطلة، إذا تلبس بها أحد المتحاورين فلن يستقيم لهما حوار[1].

- **الأصل الثالث:** عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل، لأن الحوار حينئذ يتحول إلى جدل عقيم لا طائل تحته، إلا في حالات استثنائية. كأن يكون الطرف المقابل كافرًا ويناقش في قضية فرعية، فعندها ينبغي نقله إلى الأصل وإرجاعه إليه ومناقشته فيه، أو أن يناقش في الفرع بالحجج القاطعة وإقحامه بها، وربما إذا اقتنع بالفرع أن يرجع إلى الأصل. فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها، والذي يتأمل الأصول التي ينطلق منها الحوار في الإسلام يلحظ أنها تختلف عن آداب الحوار التي سنعالجها في مكان آخر من هذا الفصل (في المبحث الرابع).

ولكوننا لا زلنا نبحث عن الحقيقة للحوار في الإسلام وما يتشابه معه من مرادفات؛ فإننا نعود إلى الغوص في أعماقها من خلال المبحث التالي:

(١) الإمام الشوكاني: الاعتصام (١/٢٢٤، ٢٣١، ٢٥٨).

المبحث الثاني
بين الجدل والحوار

نبرز هنا مفهوم الجدل ومتشابهاته حتى نميزه عن الحوار ومضامينه على النحو التالي:

أولًا: الجدال:

- لغــة / مجادلة وجدالًا: خاصمه.
- والاسم: الجدل، وهو شدة الخصومة.
- وقيل: مشتق من الجدل وهو القتل، ومنه زمام مجدول.
- وقيل: مشتق من الجدالة التي هي على الأرض، فكان كل من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه فيكون كمن ضرب به الجدالة.

وقد ورد اللفظ في القرآن باشتقاقات مختلفة.

ورد فعلًا: ماضيًا، ومضارعًا، وأمرًا، واستفهامًا، وورد مصدرًا لصيغ مختلفة:

جدلًا، جدالًا، ولم يرد بصيغة «مجادلة» (مفاعلة).

والذي نلحظه من استعمالات القرآن الكريم أن استعماله بمعناه «المذموم» هو الغالب:

- ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥.]
- ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٧].
- ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [النساء: ١٠٩].
- ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحج: ٦٨].
- ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [الأعراف: ٧١].

■ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ [الأنعام: ٢٥].

■ ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ [الأنفال: ٦].

■ ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

■ ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣].

■ ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [الشورى: ٣٥].

■ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].

■ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨].

■ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠].

■ ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

■ ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

■ ﴿ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢]

■ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] «أي تخاصم».

وإذا أخذنا مثلًا آية: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فقد اختلف العلماء حول المراد بالجدال في هذه الآية، لكنهم يتفقون على أنه شيء مذموم على النحو التالي:

الجدال بمعنى المراء حتى تغضب مسلمًا فينتهي إلى السباب كما قال: ابن مسعود، وابن عباس، وعطاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

■ الجدال بمعنى السباب.

■ الجدال بمعنى الاختلاف.

■ الجدال بمعنى المماراة في الشهور.

■ الجدال بمعنى أن تقول طائفة لأخرى: حَجُّنا أبرُّ من حجكم.

■ الجدال بمعنى الفخر بالآباء[١].

وقد يرد الجدال بالمعنى المحمود:

■ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فقد وردت هنا بمعنى الحوار «الهادئ».

■ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

■ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود ٧٤ - ٧٥).

وهذه المواضع الأربعة التي ورد فيها حسنًا (بالمعنى الحسن المقبول شرعًا).

والجدال في الحالة الأخيرة كما في الحالة الأولى كان حوارًا هادئًا بين نبي الله ورسوله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبين ملائكة الرحمن «وقد رواها حميد بن هلال عن جندب عن حذيفة» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وذلك أنهم لما قالوا ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟

قالوا: لا.

قال: فأربعون؟

قالوا: لا.

قال: فثلاثون.

قالوا: لا.

قال: فعشرون.

قالوا: لا.

(١) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ٤١٠.

قال: فإن كانوا فيها عشرة، أو خمسة (شك حميد).

قالوا: لا.

قال: فقال - يعني إبراهيم - قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم.

وقيل: إن إبراهيم قال: أرأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها؟

قالوا: لا.

فقال: عند ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢][1].

والجدال بالتالي هي أحسن: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] جاءت قيدًا على الجدال، لتميزه عن الجدال المذموم من ناحية، ولبيان أنه لا ترذيل فيه، ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي، و يشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدال، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق.[2]

ثانيًا: التحاج:

وهو مجاذبة الحجة أو التخاصم، وفي المثل لج فحج فهو رجل محجاج أي جدل[3] وقد وردت في القرآن ثلاث عشرة مرة.

١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٢- ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

٣- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

٤- ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ [الأنعام: ٨٠].

---

(١) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص ٧٢.
(٢) سيد قطب: الظلال - ج١٤، ص ٢٠-٢٢.
(٣) مختار الصحاح: ص ١٢٣ - تحت حجج.

٥- ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٦- ﴿ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

٧- ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

٨- ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

٩- ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

١٠- ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٧٦].

١١- ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

١٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ [الشورى: ١٦].

١٣- ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧].

وقال فيها الإمام القرطبي تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وتدل على إثبات المناظرة والمجادلة و إقامة الحجة.

وفي القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله:

■ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة ١١١].

■ ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يونس: ٦٨] أي من حجة.

وقال في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: ٣٢-٣٥].

وكذلك مجادلة موسى مع فرعون إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

فهو تعليم من الله عَزَّوَجَلَّ السؤال والجواب والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل.

وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وباهلهم بالحجة.

وتحاج آدم وموسى فغلبه آدم بالحجة.

وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة وترافعوا وتقرروا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله.

وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة إلى غير ذلك مما يكثر إيراده، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ.. ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦] «دليل على أن الاحتجاج بالعلم مباح شائع لمن تدبر».

والذي يبدو لنا أنه لا تصح المناظرة، ويظهر الحق بين المتناظرين؛ حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والإنصاف، وإلا فهو مراء أو مكابرة.

ونحن نلاحظ أن استعمال «التحاج» جاء قريبًا من استعمال الجدال وإن غلب في استعماله في الآيات الكريمة الإشارة إلى الجدال «المذموم» عدا قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وإذا صح منا هذا الاستنتاج فإن المحاجة بمعنى الجدال المحمود تكون قد جاءت هنا من قبيل المشاكلة التي يستعملها القرآن مثل قوله: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤] فمكرهم مكر سيئ ومكر الله حسن.. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] وغيره كثير.

ثالثًا: المراء:

يأتي بمعنى الجحود: ماراه حقه أي: جحده.

ومنها قوله: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١٢].

وماراه مراء: جادله.

والمرية: الشك، وكذلك الافتراء.

المراء في القرآن: وقد وردت اللفظة في القرآن باشتقاقات كثيرة (ثماني عشرة مرة):

١- ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢].

٢- ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١٢].

٣- ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى: ١٨].

٤- ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر: ٣٦].

٥- ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم: ٥٥].

٦- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ﴾ [الزخرف: ٦١].

٧- ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢].

٨- ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٠].

٩- ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم: ٣٤].

١٠- ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧].

١١- ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٠].

١٢- ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

١٣- ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤].

١٤- ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [هود: ١٧].

١٥- ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [هود: ١٠٩].

١٦- ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج: ٥٥].

١٧- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [السجدة: ٢٣].

١٨- ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٤].

فقد وردت في ثمانية عشر موضعًا كما تقدم، وهي تتردد بين:

الجحود، والشك، والجدل المذموم.

لكنه لم يأت بمعنى الجدل الحسن، وعندما جاءت قريبًا من ذلك ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ [الكهف: ٢٢] جاءت على طريقة المشاكلة، فضلًا عن القيد الذي جاء مصاحبًا للكلمة «مظاهرًا» مما يؤكد المعنى.

ومن هنا ذهب المفسرون إلى أنه لم يبح له في هذه الآية أن يمارى، ولكن قوله ﴿ إِلَّا مِرَآءً ﴾ استعارة من حيث يماريه أهل الكتاب، سميت مراجعته لهم مراء، ثم قيد بأنه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم.

وفي الحديث عن «أبي أمامة مرفوعًا»:

«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[1].

من كل ذلك نصل إلى:

١- أن الجدال، والمحاجة، والمراء.. جاءت مترادفات بمعان متقاربة.

٢- أنها إذا أطلقت فإنها تعني الشيء المذموم.

٣- أن ترتيبها في أداء معنى الذم تأتي في مقدمته المراء ثم المحاجة ثم الجدال.

٤- أن القرآن أورد قيد «الحسن» على الجدال؛ ليميزه عن الجدل المذموم؛ وليشير إلى «إباحته» أو «الندب إليه» أو وجوبه تبعًا للأحوال، وأنه في غير الآيتين الكريمتين اللتين جاء فيهما هذا القيد؛ فإن قيد «الحسن» يفهم من سياق الآيات.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (١٠/ ٤٠٦).

رابعًا: حكم الجدل والحوار:

إن الداعي إلى بحث هذه القضية والكلام عنها، هو ما جاء عن بعض العلماء من كراهية الجدل والتحذير منه، وحيث إن الجدل هو نوع من الحوار، ويتفق معه في بعض معانيه، فربما اشتبه الأمر على أناس فأنكروا الحوار والجدال والمناظرة احتجاجًا ببعض تلك النصوص التي تحذر من الجدال وتنهى عنه، كما أنه ربما بالغ أناس في استعمال الجدال والمحاورة وغالوا فيها وخرجوا عن الحد المشروع منها بحجة النصوص والأدلة التي تبيح الجدال والمناظرة.

ولذلك فخلاصة هذا المبحث هو التوفيق بين الأدلة الظاهرة التعارض، أي بين النصوص التي تأمر بالجدال وتحث عليه والأدلة التي تنهى عنه وتحذر منه، وذلك بعد سرد هذه الأدلة وبيان مواضع الاستشهاد فيها:

أما النصوص التي تأمر بالجدال، وتحث على المناظرة والحوار، فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقد تقدم الكلام عنها وذكر أقوال المفسرين فيها، وبيان أن الآية تدعو دعوة صريحة إلى الحوار والجدال الحسن والمناظرة؛ إذا احتاج الأمر إليها، وأن ذلك وسيلة مستقلة من وسائل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

٢-قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ووجه الدلالة فيها أن الله تعالى أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن من الرفق واللين والإنصاف ونحوه[١]، وقد رجح الطبري وغيره أن الآية تدعو إلى ذلك وأنها محكمة وليست منسوخة ومما قال رحمه الله: (لا معنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل)[٢].

(١) مناهج الجدل، ص ٥٣. الطبري (٣/٢١)، وانظر ابن كثير (٣/٤١٥).
(٢) الطبري (٣/٢١١)، وانظر ابن كثير (٣/٤١٥). هود: ٣٢.

٣- هناك آيات، أقرت فيها المجادلة والحوار والمناظرة مما يدل على جوازها وإباحتها ومنها: قوله تعالى في ذكر رد قوم نوح عليه ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢] فنسب الجدال إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم ينكره القرآن.

وقوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧] وذكر هذا الكلام، والتعبير بلفظ المحاورة يدل على إقرارها وإثباتها.

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] وهذه الآية تقر المجادلة والحوار كما هو ظاهر منها.

٤-وهناك أحاديث تقر المجادلة والمحاورة والمحاجة منها:

قوله ﷺ «ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار»[(١)].

ومنها حديث: «احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى مرتين»[(٢)].

وحديث (تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عَزَّوَجَلَّ من خلقه أحدًا وأما الجنة فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ لها خلقًا).[(٣)]

وهذه الأحاديث الثلاثة يظهر منها إقرار ما جاء فيها من الألفاظ التي لم تنكر فدل على مشروعيتها وإباحتها. ومثلها ما كان من حوارات بين النبي ﷺ وأصحابه، مثل الذي

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: زيادة الإيمان، رقم (٤٩٢٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد، رقم (٣١٥٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله «تقول هل من مزيد»، رقم (٤٤٧٢).

حصل بينه وبين السعدين في غزوة الأحزاب حول إعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة، حيث استشارهما في ذلك فقالا: يا رسول الله! أمرًا تحبه فنصنعه أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟.

قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر من شوكتهم إلى أمر ما.

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ وَذَاكَ»، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: (ليجهدوا علينا)[1].

ومثل ذلك ما حصل بينه وبين عمر من مجادلة في الحديبية، وذلك حين جرى الصلح ولم يبق إلا الكتاب، فوثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟

قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. ثم أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين، قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: (أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني)[2].

ومن ذلك مناظرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع اليهود، حيث كان لعمر أرض بأعلى المدينة، فكان يأتيها، وكان ممره على طريق بيوت اليهود، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم، وأنه دخل

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/١٠٦) إسناد وتفسير ابن كثير (٤/ ١٩٦).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٧٠).

عليهم ذات يوم، فقال: يا عمر ما في أصحاب محمد ﷺ أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا، وتمر بنا فلا تؤذينا، وإننا لنطمع فيك.

فقال لهم عمر: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أتجدون محمدًا ﷺ عندكم، فأسكتوا.

فقال: تكلموا ما شأنكم فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني، فنظر بعضهم إلى بعض فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل، لتخبرنه أو لأخبرنه، قالوا: نعم، إنا نجده مكتوبًا عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحى هو جبريل، وجبريل عدونا، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف، ولو أنه كان وليه ميكائيل إذن لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث.

فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال عمر: فأشهدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه عدو للذي عن يساره، والذي هو عدو للذي عن يساره عدو للذي عن يمينه، وأنه من كان عدوهما فإنه عدو لله.

ثم رجع عمر ليخبر النبي ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فدعاه النبي ﷺ فقرأه عليه، فقال عمر: والذي بعثك بالحق، لقد جئتك وما أريد إلا أن أخبرك[1]، إلى غير ذلك من الحوارات التي سيأتي ذكر شيء منها في ثنايا البحث، والتي تقر الجدل والمحاورة.

٥ - يمكن الاستدلال على مشروعية الجدال بالحسنى والمحاورة بما وقع من كثير من الصحابة العلماء من المناظرات والحوارات ومنها: المحاورة التي كانت بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة والتي انتهت بمبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين بعد الخلاف والجدال الطويل الذي كان بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جانب وبين سعد بن عبادة والحباب بن المنذر من جانب آخر[2].

(١) تفسير الطبري (١ / ٤٣٤)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٢٤/٢).
(٢) تاريخ الطبري (٢٤١/٢ - ٢٤٤).

فهذه خلاصة ما يمكن الاستدلال به على مشروعية الجدال بالحسنى وإباحة الحوار والمناظرة.

وأما النصوص التي يظهر منها التعارض مع ما سبق، والتي تحذر وتنهى عن الجدال فيمكن تلخيصها فيما يلي:

١ - هناك آيات عديدة يظهر فيها كراهية الجدل في قضية معينة، أو بأسلوب معين، وقد يستدل بها في كراهية الجدل مطلقا، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأمثالها كثير من الآيات التي تشعر بخطر الجدل المذكور فيها والوعيد الشديد لمن تعاطاه.

٢ - وهناك بعض الأحاديث التي تحذر من الجدال وتبين كراهيته، ومنها: قوله ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[1].

وقوله أيضًا «ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل» ثم تلا هذه الآية ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

ومثله حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧] فقال يا عائشة: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عاندهم الله فاحذروهم».

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

ومما يدل على أفضلية ترك الجدال وكراهيته، قوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمَنْ ترك المراء، وإن كان محقًّا. .. .. .. الحديث».

٣ - مما يستدل به على كراهية الجدل: ما أثر عن بعض السلف من أقوال تنهى أو تحذر منه ومن ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: النهي عن الجدال في القرآن، رقم (٣٩٨٧).

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كفى بك إثما أن لا تزال ماريا».

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل».

وقال مسلم بن يسار: «إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «ليس هذا الجدال من الدين في شيء».

وقال بلال بن سعد: «إذا رأيت الرجل لجوجا ماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته».[1].

وقال الشافعي: «المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن»[2].

وللجمع بين ما تقدم من تعارض ظاهر حول الجدل والمناظرة، فإن قصارى القول: إن إنكار الجدل وذمه مطلقا فيه تعسف ومكابرة للحق والواقع، كما أن قبوله والدعوة إليه مطلقا فيه أيضًا تعسف ومكابرة، فقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تأمر بالجدل وأخرى تنهى عنه، فعلمنا يقينا أن الجدل الذي تأمر به هذه النصوص غير الجدل الذي تنهى عنه؛ لأن نصوص القرآن ونصوص السنة الصحيحة لا تتعارض في حقيقة الأمر.

إذن فالجدل نوعان: جدل ممدوح وعليه تصرف نصوص الإباحة والجواز، وهو ما كان لنصرة الدعوة وتبليغها، وجدال مذموم، وعليه تحمل أدلة النهي والكراهية، وهو ما كان بباطل وبغير علم؛ ولنصرة الباطل والهوى.

والذي يبدو جليا من قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤]: أي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدال بالباطل في دفع آيات الله وتكذيبها والقصد إلى دحض الحق كما في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

وأما الجدال لاستيضاح الحق، ورفع اللبس، والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه، ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن، وردهم بالجدال

(١) المصدر السابق ٣/١٢٦.
(٢)) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٨).

إلى المحكم فهو من أعظم ما يتقرب المتقربون، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب

والخلاصة: أنه قد تبين مما سبق أن حكم الجدال والحوار، يرجع إلى القصد منه والغرض من استعماله: فإن كان بالحق وللوصول إلى الهدى والصواب، ولكشف الباطل ودحض الشبهات فهو مباح جائز، وربما كان واجبًا إن كانت الحاجة ملحة إليه وهو من أنواع الجهاد، وأما إن كان جدالًا بالباطل لرد الحق ودفع الحجة، أو للوصول إلى الباطل فهو مذموم محرم، كما دلت النصوص والأقوال على تقرير ذلك.

وإذا كنا تناولنا الآن حكم الحوار والجدل شرعًا؛ فإننا في حاجة إلى بيان موضوعات الحوار التي ينصب حولها؛ مما سنعرض له الآن بحوله تعالى.

المبحث الثالث
موضوعات الحوار

جاءت موضوعات الحوار في الكتاب والسنة، محققة للأهداف المشروعة، لذلك فإننا نذكر أبرز تلك الموضوعات على سبيل المثال فيما يلي:

١- الدعوة إلى التوحيد:

فقد أخذ هذا الموضوع حيزًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة، وكذا من نماذج الحوارات الواردة فيهما، وقد تعددت طرق طرحه فتارة يكون بالدعوة إلى توحيد الله وبيان أهمية ذلك التوحيد، وتارة يكون بالنهي والزجر عن الشرك والإلحاد، وأحيانًا يكون حول إثبات وجود الخالق ووحدانيته، أو في ربوبيته وألوهيته.. إلى غير ذلك، ويكون القصد هو الدعوة إلى توحيد الله والنهي عن الشرك، والأمثلة على هذا الموضوع كثيرة جدًّا نذكر منها:

محاجاة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمرود بن كنعان في إثبات ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

الحوار مع أهل الكتاب ودعوتهم إلى التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومثل ذلك حوار عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع النصارى كما في الآية ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

الحوار مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حول هذه القضية كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

حوار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه ودعوته إلى التوحيد، وترك عبادة الأصنام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤] ومن ثم قال في محاجته لقومه كما في الآيات الآتية بعدها: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨١].

إضافة إلى دعوة الرسل لأقوامهم، وبدئهم بأمر التوحيد و إصرارهم على كلمة التوحيد هي ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] كما هو واضح من قصصهم في سورة الأعراف وهود والشعراء وغيرها.

ومن أبرز تلك الحوارات ما كان بين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه كما في سورة الأنبياء. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ الآيات [الأنبياء: ٥١-٥٦].

أما الأمثلة من السنة فمنها:

■ حديث أنس بن مالك وفيه: «قال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق. قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال نعم ... الحديث»[1].

■ وغيرها من النصوص التي تدل على عناية الكتاب والسنة بهذا الموضوع، وطرحه في الحوار والمناقشة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإسلام، رقم (١٣).

٢- الرسل والرسالات:

ومع الدعوة إلى التوحيد هناك حوارات وجدال طويل حول إثبات الرسالات والدعوة إلى تصديق الرسل، فما من نبي إلا ويجادله قومه حول هذه القضية، وينفون نبوته - إلا من رحم الله - ولذلك فقد أخذ هذا الموضوع حيزًا من حوارات الرسل، ومن نماذجه:

مجادلة قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٣]. ويتضح من الآيات أن أكثر الحوارات كان حول إثبات أنه رسول من رب العالمين، وكذلك فيه الدعوة إلى التوحيد.

مجادلة قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآيات [الأعراف: ٦٥- ٦٩].

وواضح أيضًا من خلال الآيات تأكيد هود عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنه رسول من رب العالمين، وأن مهمته هي إبلاغ الرسالة والنصح لأمته مع ما في الآيات من الدعوة إلى التوحيد كذلك.

وكذلك الحال في مجادلة قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذ أنه دعاهم إلى التوحيد، وإلى الإيمان به؛ فكان جوابهم عليه ما ذكره الله في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ

بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٩].

ومن أقوى الحوارات وأطول الجدالات ما جاء في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الآيات [الأعراف: ١٠٤-١٠٦].

إلى غير ذلك من قصص الأنبياء وحواراتهم مع أقوامهم حول الموضوع نفسه، مع ملاحظة أن هذه الآيات التي عرضناها الآن هي ما جاء في سورة الأعراف فقط، وهناك مثلها - وفي الموضوع نفسه - في سور أخرى مثل سورة هود والشعراء والأنبياء وغيرها. أما من السنة فالنصوص متعددة في إثبات الرسالة؛ لأن كل حوار مع المشركين مرده إلى إنكار النبوة والرسالة ومن الأمثلة على ذلك:

ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1].

ففي هذا الحديث وما دار فيه من حوار دعوة واضحة إلى الإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه في رسالته.

(١) الطبري: (١٢١/١٩).

ومثله حديث جابر بن سليم حيث قال: «رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلا صدروًا عنه. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ - قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك. قال: فقلت: أنت رسول الله؟ قال: أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشف عنك، وإن أصابك عام أو سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك ... الحديث»[1].

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة التي تشير إلى أن موضوع الرسل والرسالات كان من أهم موضوعات الحوار في الكاتب والسنة.

٣- البعث:

لقد أخذ موضوع البعث واليوم الآخر اهتمامًا كبيرًا وحجمًا واسعًا في نصوص الكتاب والسنة، وذلك لعلاقته المباشرة بالتوحيد والإيمان بالله ولكثرة اعتراض المشركين عليه وإنكارهم له والآيات في هذا الموضوع أكثر من أن تحصر فلا تكاد تخلو سورة مكية من التعرض لهذا الموضوع بأسلوب أو بآخر، كما في سورة الأنعام ويونس والنحل والإسراء ومريم والمؤمنون والنمل والروم والسجدة ويس والصافات وق، هذا عدا السور التي سميت باسم يوم القيامة كالواقعة والتغابن والحاقة والقيامة والغاشية والزلزلة والقارعة، وعدا السور التي كان موضوعها الرئيسي هو هذا الموضوع، كالمعارج والنبأ والتكوير والانفطار والانشقاق والطارق والتكاثر ونحو ذلك.

ومن نماذج الحوار في هذا الموضوع:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥٢].

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في إسبال الإزار، رقم (٣٥٦٢)..

وكذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ إلى آخر السورة [يس: ٧٧-٨١].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما يوضح القضية وملابساتها، حيث (قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة: جاء أبي بن خلف - لعنه الله - إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم، يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار، ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس...»)[1].

وذكر الطبري عن سعيد بن جبير قال: (جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته بيديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيًّا بعدما أرم! قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم قال: ونزلت الآيات)[2].

ومثله ما تكرر من تعجب المشركين من أمر البعث، وجدالهم فيه كما في سورة الصافات حيث قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات: ١١-١٩].

وفي السورة نفسها تذكر قصة القرين المنكر للبعث قال سبحانه ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ

(١) ابن كثير: (٣/٥٨١) وانظر الرواية التي بعدها.
(٢) الطبري: (٢٣/٣٠-٣١)، ورواه الحاكم كتاب التفسير (٢/٤٢٩).

رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٥١-٦١].

إلى غير ذلك من النماذج الرئيسة والأمثلة، ويكفي لبيان حجم هذا الموضوع أن نعلم أن القرآن الكريم قد ركز على أربعة أدلة رئيسة لإثبات البعث كثيرًا ما تكرر في ثنايا السور، وخاصة المكية. وهذه الاستدلالات الأربعة هي:

١- الاستدلال بخلق السموات والأرض وما فيهما، إذ إن الذي خلق هذه الأجرام العظيمة قادر على أن يخلق الإنسان الضعيف الصغير كما قال سبحانه: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

٢- الاستدلال بإحياء الأرض الميتة: وأن الذي أحياها هو الذي يحيي الموتى، والذي يخرج منها النبات هو الذي يخرج الناس من قبورهم كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩] ومثلها قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وكذلك قال عَزَّوَجَلَّ عن نزول الماء من السماء ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ١١].

٣- الاستدلال بالخلق الأول، وأن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على أن يخلقه مرة أخرى، بل إعادة الخلق أهون كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥].

٤- الاستدلال بإحياء الموتى بالفعل في الدنيا، وإن الذي فعل ذلك أمامكم وأحيا بعض الموتى قادر على أن يحيي الناس كلهم في الآخرة، كما في قصة قتيل بني إسرائيل[1]،

(١) البقرة: ٧٢ - ٧٣.

وقصة عزير[١] وطيور إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢] وكلها في سورة واحدة، ومنه نوم الإنسان ثم بعثه كما في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومن الأمثلة كذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] حيث صح من حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقًّا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: بلى، قال إن لي هناك مالًا وولدًا فأقضيك فنزلت الآية)[٣].

٤-موضوعات مختلفة:

إضافة إلى تركيز الكتاب والسنة على الموضوعات السابقة، فإن هناك حوارات متعددة حول موضوعات مختلفة متفرقة، وسنضرب بعض الأمثلة من القرآن الكريم، وأما بالنسبة للسنة فإن أمثلتها لا تحصر وقد ذكرنا بعضها وسيأتي ذكر كثير منها في ثنايا البحث، ومن أمثلة القرآن الكريم.

حوار الله مع الملائكة في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣].

قصة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى، وحوارهم الطويل مع نبيهم حول القتال في سبيل الله.[٤]

---

(٢) ٢٥٩.

٢٦٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله أرأيت الذي كفر بآياتنا، رقم (٤٣٦٣).

(٤) البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٩.

حوار صاحب الجنتين كما في سورة الكهف قال تعالى ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ الآيات [الكهف: ٣٤-٣٧].

حوار موسى مع الخضر كما في السورة نفسها[١].

حوار مؤمن آل فرعون مع قومه، ودعوتهم إلى الإيمان، مع الدفاع عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما في سورة غافر[٢] إلى غير ذلك من الموضوعات والأمثلة والنماذج المتعددة.

ومن موضوعات الحوار مع أهل الكتاب ما يلي:

أولًا: بيان التوحيد وأهميته، وأنه لا نجاة لأحد إلا به فيدعوهم إليه ويحذرهم من الشرك بأنواعه المختلفة، فتارة يبين أنه بعث به جميع الأنبياء، وقد ورد ذلك في آيات عديدة في سياق محاورة أهل الكتاب منها قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ٤].

وتارة يبين لهم عاقبة الشرك كقوله تعالى محاورًا أهل الكتاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) الكهف: ٦٦ - ٨٢.
(٢) غافر: ٢٨ ٤٤-.

وكقوله تعالى للنصارى على لسان نبيهم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وتارة يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن اتخاذ المخلوقين أربابًا حتى لو كانوا ملائكة وأنبياء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وتارة ينكر عليهم نسبة الولد لله ويبين لهم أن هذا من الشرك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٧]. كما ينكر على النصارى التثليث الذي هو نوع من الشرك ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٣).

ولأجل هذا الموضوع يبين لهم بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بعيسى وحقيقته وقصة ولادته وبيان أنه لم يصلب.

ثانيًا: دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وبالكتاب الذي أُنزل إليه، وبالدين الذي جاء به، وهو دين الإسلام، ويحذرهم من الكفر به خاصة وقد بشرت به كتبهم وعلموا أنه رسول من عند الله. وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. وكقوله تعالى ذامًّا أهل الكتاب على تفريقهم بين الأنبياء، وكفرهم بمحمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ

وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]. وكقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧]. وكقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١]. وكقوله تعالى محاورًا أهل الكتاب: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] وكقوله تعالى في سياق محاورتهم: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد عنيت السنة النبوية بهذا الموضوع، ومن ذلك ما ورد أنه لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله. وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب..»[1].

كما أرسل النبي ﷺ الكتب إلى الملوك كهرقل والنجاشي وكسرى والمقوقس والمنذر ابن ساوى وملك عمان وصاحب اليمامة وصاحب دمشق يدعوهم فيها إلى الإسلام[2] وسنورد كتابًا منها، وهو كتاب النبي ﷺ إلى هرقل - وكان ملك الروم وكان نصرانيًّا - قال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» و﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (٤٠٠٠)
(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٦٨٨- ٦٩٧)

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فهذا الكتاب متضمن دعوتهم إلى الإسلام، وإلى التوحيد والتحذير من الشرك، واتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا، وهذان الموضوعان هما أسس جميع المواضيع الأخرى فهما أهم موضوعين حاور فيهما القرآن والسنة النبوية أهل الكتاب.

ثالثًا: بيان تحريفهم لكتبهم رغبة في المال، وطمسًا لحقائق التوحيد والبشارة بمحمد ﷺ، وقد ذكر القرآن أن الكتب السابقة وقع فيها جميع أنواع التحريف، وهي التبديل والزيادة والنقص، والآيات في هذه الموضوعات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ [النساء: ٤٦].

ويقول تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

رابعًا: الرد على شبهاتهم وادعاءاتهم وافتراءاتهم: وهذا من المواضيع التي عُنى بها القرآن الكريم، فهو يفند شبه أهل الكتاب المختلفة كما يرد ادعاءاتهم وافتراءاتهم الباطلة، حتى يتضح الحق، ومن ذلك:

١- دعوى كل طائفة منهم أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ منها، فرد عليهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران ٦٥ -٦٧]. وقوله ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠].

٢- دعوى كل طائفة أنها وحدها على الحق ولن يدخل الجنة سواها، كما قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥]. وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥].

٣- دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٦-٧].

٤- افتراؤهم على الله بقولهم: إنه فقير، وإن يده مغلولة تعالى الله عما يقولون وزعمهم بأنهم أغنياء، كما قال تعالى عنهم: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة: ٦٤].

٥- زعمهم بأن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، وهذا من تعجيزاتهم ومبرراتهم لعدم الإيمان بمحمد ﷺ، وقد ذكر الله ذلك عنهم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٣ -١٨٤].

٦- طلبهم من محمد ﷺ الإتيان بمثل ما جاء به موسى، وأن عدم إتيانه بذلك هو المانع من إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٨-٤٩].

٧- زعم اليهود بأن المانع من إيمانهم هو أن الملك الذي يأتي بالوحي هو جبريل، وهو عدوهم، فأنزل الله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

٨- زعمهم أن المانع من إيمانهم هو أن القرآن يحل من الأطعمة ما حرم على بني إسرائيل كلحوم الإبل وألبانها، فكيف يكون مصدقًا للتوراة فأنزل الله: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٣-٩٤].

٩- تعجيزهم للنبي ﷺ بطلب الآيات فقد سألوه أن ينزل كتابًا من السماء ليؤمنوا، كما قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

١٠- تشكيك اليهود بصحة الرسالة بسبب ترك قبلتهم، وهي بيت المقدس إلى البيت الحرام، ومحاولتهم استغلال ذلك لفتنة المؤمنين عن دينهم، فأنزل الله آيات عديدة في الرد عليهم منها قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وكان اليهود يعترضون على نسخ القبلة، لأنهم لا يرون النسخ أصلًا فرد الله عليهم ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وهذه الموضوعات الأربعة هي أهم الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم، وقد وردت مواضيع أخرى فرعية وخادمة لهذه المواضيع، مثل ذكر فضل الإسلام، وضلال النصارى، وتعنت اليهود وسوابقهم مع أنبيائهم مع ما أنعم الله عليهم من النعم الكثيرة.

ولعل تناولنا للموضوعات التي يدور الحوار حولها؛ يأخذنا إلى ذكر آداب الحوار في الإسلام مما سنتناوله فيما يلي:

المبحث الرابع
آداب الحـوار

ما دام الحوار ضرورة فإنه من الأفضل إذن أن نتعرف إلى آداب الحوار التي ينبغي لكل محاور أن يلتزم بها حتى ينجح الحوار ويصل إلى الحق، وفي البداية لابد من:

آداب يتحلى بها الإنسان قبل البدء في الحوار، وهي:

١- إخلاص النية لله.
٢-العلم.
٣- الصدق.
٤-التزام المحاور بما يدعو إليه.
٥- التكافؤ بين المتحاورين.
٦-وجود خلفية عن الطرف الآخر.
٧- اختيار الطرف المناسب.

وآداب يتحلى بها الإنسان أثناء الحوار، وهي:

١-حسن الاستماع.
٢-التدرج والبدء بالأهم.
٣- الإقرار بالخلاف.
٤-التدعيم بالأمثلة والحقائق.
٥-طلب الانتظار وعدم الاستعجال.
٦-الهدوء وعدم الغضب.
٧- الاحترام بين المتحاورين.
٨- إقامة الحجة.
٩- إنهاء الحوار.
١٠-استخدام كلمات لطيفة أثناء الحوار.

وهناك كلمات يحسن بنا استخدامها عند الحوار تساعد على سيره في الطريق الصحيح والوصول به إلى الهدف المنشود، وسنتحدث عن هذه الآداب بشيء من التفصيل.

آداب يتحلى بها الإنسان قبل بدء الحوار:

١-إخلاص النية لله تعالى:

ينبغي ألا يدخل الإنسان في حوار ما إلا إذا كان متأكدًا من أن نيته لله عَزَّوَجَلَّ، ليس

المقصود أن يظهر من خلال الحوار براعته وثقافته، وأن يتفوق على الآخرين أو أن ينتزع الإعجاب والثناء، فذلك كله أمر يحبط عمله عند الله عز جل[١]. وحقيقة الإخلاص التبرئ من كل ما دون الله أي أن المحاور ينبغي أن يقصد وجه الله بقوله وعمله وجهاده، وأن يبتغي مرضاته وحسن مثوبته[٢]. ومن أغراض الحوار أن يكون لحراسة الشريعة والذب عنها، ودلالة الناس على الهدى، وتثبيتهم عليه، وكشف أحوال المندسين بينهم[٣].

فإذا لم تخلص النية لله تعالى لم يتحقق هذا الغرض (وقال المزني صاحب الشافعي: ومن حق المناظرة أن تراد في الله عَزَّوَجَلَّ وأن يقبل منها ما تبين)[٤]. وقال الشافعي: ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه فالمهم صحة الفكرة وظهور الحق[٥]. فإن من تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية، ورياء وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصًا له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل[٦].

ولذلك على المحاور أن يقوم يراجع نيته قبل أن يدخل في حوار فيسأل نفسه، هل نيتي خالصة لله في هذا الحوار أو هذه المناقشة؟ وهل هناك مصلحة وفائدة ترجى من كلامي أم أنه قد يسبب آثار هي خلاف ما أحب؟ كأن يثير فتنة نائمة أو يفتح باب خلاف بين المسلمين كان مسدودًا، وعلينا هنا أن ننتبه إلى تلبيس إبليس علينا فهو يوهمنا أننا سنتحدث إحقاقًا للحق وتبيانًا له، ثم يستدرجنا إلى مواقف؛ ليتحقق هوى النفس[٧].

ولكي يعتصم المحاور من الرياء ويبرأ من عقباه أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: (اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه)[٨].

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٢٩.
(٢) د. علي عبد الحليم محمود: فقه الدعوة إلى الله، ص ٣٧٠.
(٣) بكر أبو زيد: الرد على المخالف، ص ٥٤.
(٤) د. علي جريشة: آداب الحوار والمناظرة، ص ٢٥.
(٥) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٩.
(٦) الإمام ابن تيمية: الفتاوى، ج٢٨، ص ٢٣٥.
(٧) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٢٩.
(٨) جمعة أمين عبد العزيز: للدعوة قواعد وأصول، ص ٤٨.

وهذا الأدب قد يكون في النظر سهل الاعتبار والمأخذ، ولكنه عند التطبيق والتدقيق عزيز المنال صعب المدرك فكم من الناس يظهر أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه ويريد العلو والانتصار لشخصه أو لشيخه أو غير ذلك[1].

ولذلك نرى رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ضربوا لنا أروع المثل في إخلاص دعوتهم لله وحوارهم مع قومهم. فهذا نوح يقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٦-١٠٩]. وهود يقول ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٤-١٢٧].

إذن على المحاور أن يقصد وجه الله أولًا ثم يبين قصده وهدفه من حواره وخاصة إذا كان الخصم معاندًا مستكبرًا فهذا شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٢-العلم:

العلم من أهم أسباب نجاح الحوار وبدونه يكون الضرر كبيرًا؛ إذ يصبح الحوار هدرًا للوقت وتضييعًا للجهد.. والعلم المقصود هو العلم المتعلق بموضوع الحوار ومادته.

والعلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية، التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الطرف الآخر.

ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق وللتفكير السليم أنكر الله على أهل الكتاب محاجتهم دون علم فقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

(١) صالح بن حميد: أدب الخلاف، ص ٥٠.

يقول الإمام النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة (لا يصح لكم أن تجادلوا مثل هذا الجدال المحال، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم والله يعلم علم ما حاججتم فيه، وأنتم جاهلون به)[١].

وقد نهى الله تعالى أن يتبع الإنسان ما لا علم له به وأن يتدخل فيما لا يحسنه فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي لا يقف في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكًا لا يدرى أنه يوصله إلى مقصده[٢].

وقال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح؛ لأن ذلك من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به[٣]. فعلى المحاور أن لا يخوض في موضوع لا يعرفه جيدًا ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها تمامًا فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يحاور من أجلها.

وللمحاور إظهار علمه والتصريح بأنه أعلم توثيقًا لقوله إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور فإن هذا يتنافى مع الإخلاص ولا يستقيم مع العلم، ومن ذلك قول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢].

يقول الإمام الألوسي: (والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة أن تبليغ الرسالة معناه أن يعرف أنواع التكاليف والأحكام، والنصيحة والترغيب في الطاعة والتحذير من المعاصي والإرشاد إلى ما فيه مصالح العباد ومعنى علمه، أي أعلم من قدرته وبطشه الشديد على أعدائه ما لا تعلمونه، قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين ما يعلمون ما علمه نوح بالوحى)[٤].

---

(١) النسفي: ج١، ص٧٠١.
(٢) الألوسي: ج٥، ص ١٥٧.
(٣) الزمخشري: الكاشف، ج٢، ص ٤٤٩.
(٤) الألوسي: ج٣، ص ١٨٣.

وقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ٤٣].

وانظر إلى الخليل صلوات الله عليه لم يصف أباه بالجهل ولا نفسه بالعلم الكامل فإن ذلك ينفر الناس ويمنع الجليس من الائتناس بل قال: (إني أعطيت شيئًا من العلم قليلًا ولم تعطه ولا ضير عليك في شيء إن اتبعت ابنك حتى يهديك إلى الصراط المستقيم، يا أبت هب أنا سائران في الطريق وأنا على علم به أفلا يكون من الخير أن تتبعني حتى تصل إلى بر السلامة، وأنت أبي على كل حال وأنا ابنك البار وهذا جذب لأبيه ليصل إلى الحق بطريق سديدة حقًّا يشككه في اعتقاده ثم يلمح له بأن الخير في اتباعه، وترك ما هو عليه).

٣-الصدق:

عند الحوار لا بد من احترام الحقيقة والقيام بمسئولية الكلمة، والحوار الهادف المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما اللجوء إلى الغموض والمراوغة فإنه قلة في الإخلاص وضعف في النفس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين ومن ثم إلى فشل الحوار. ومن مقتضيات أدب الحوار:

أ- الإخلاص والتجرد في طلب الحق وبذل النصيحة للطرف الآخر.

ب- عدم كتم شيء من الحق أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المسكوت عنها لصالح الطرف الآخر فإن ذلك قدح في مصداقية المحاور. والعقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح والاستقامة، ولذلك حرص الأنبياء عليهم والسلام على إبراز هذا الجانب في محاوراتهم لأقوامهم فهذا هود يبين أمانته وصدقه في التبليغ: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨]. ولا تكون أمانة أو نصحًا دون صدق وقد وصف الله تعالى نبيه إدريس بالصدق فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦] وفي ذلك توجيه للدعاة وطالبي الحق حتى يتحلوا بالصدق فإنه يؤدي إلى الثقة في المحاورة وهدوء نفس المتحاورين.

٤- التزام المحاور بما يدعو إليه:

الحوار إما أن يكون حول قضية علمية أو عملية، فإن كان حول قضية عملية ينبغي أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يحاور لأجله ويدافع لإثباته، والعمل يعلم ما لا يعلمه القول بل إنه يقلب الأفكار النظرية إلى حقائق علمية ملموسة يتأثر بها من يراها قبل أن يسمع من يتكلم عنها فمن فرط في العمل وقصر في التنفيذ دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين وكان أضعف في حجته وأعجز عن إقناع غيره. (وإنكار وموعظة لا يلتزم صاحبها بها تؤدي إلى شر عظيم وتؤدي إلى فتنة السامع وعدم اقتناعه بصحة ما يقوله المحاور)[١].

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم[٢]

ولذلك نرى شعيبًا خطيب الأنبياء عندما يتحدث مع قومه يبين لهم التزامه بالسلوك السوي، وأنه أول من التزم بما يأمرهم به فيقول: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]. قال شعيب لقومه: وما أريد أن أخالفكم مائلًا إلى ما نهيتكم عنه بل أنا متمسك به فيكم؛ لأني أرى فيه الخير والرشاد في الدنيا والآخرة وأنا ما أريد إلا الإصلاح والخير العام لي ولكم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا ليس لي فيما أفعل غرض خاص[٣].

والمقصود أن المحاور الناجح الذي يعطي المثل الصالح والقدوة الحسنة يمكنه أن يقنع الآخرين بآرائه، ويطلب منهم تصحيح أخطائهم؛ لأنه يكسب احترامهم ومحبتهم عن جدارة واستحقاق بموافقة قوله لعمله والتزامه بما يدعو إليه ويحاور لأجله.

٥- التكافؤ بين المتحاورين:

ويقصد بالتكافؤ التقارب بين المتحاورين من حيث المنزلة والمكانة الاجتماعية العلمية بقدر الإمكان ولا نقصد من ذلك امتناع الحوار مع من نختلف معه مكانة ولكن

(١) عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة إنكار المنكر، ص ٥٠.
(٢) أبو عبد الله بن مالك: شرح ابن عقيل، ج٤، ص١٥.
(٣) محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، المجلد الأول، ج١٢، ص٤٠.

مراعاة تقارب السن والمنزلة له أثر في مجرى الحوار إيجابًا أو سلبًا. (وقالوا لا تصح المناظرة ولا يظهر الحق بين متناظرين. حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والإنصاف وإلا فهو مراء أو مكابرة)[١].

إن تقارب العلم والاتجاه والتفكير يسهل عملية الحوار، ويؤدي إلى نجاحها والاختلاف يؤدي إلى فشلها حتمًا.

■ فلا يتحاور فقيه مع شاعر في مسألة فقهية.

■ ولا يتحاور نحوى مع عالم في الفيزياء في مسألة علمية.

(ومن الخطأ أيضًا أن يتكلم أحد الطرفين بلغة الواقع عن مشكلة اجتماعية ينشد لها الحل فيجيبه الآخر بلغة مثالية مجردة عن أرض الواقع)[٢]. ولذلك أرسل الله تعالى الرسل بلسان أقوامهم وكانت معجزاتهم مما برع فيه أولئك الأقوام وأرسل الله محمدًا ﷺ بلسان قومه ومن أشرافهم. كذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثه الله إلى فرعون فطلب المعونة والمؤازرة بأخيه: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]. وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا وأقوى بيانًا وأدرى مني بلهجة المصريين؛ لأنه لم يترك بلادهم فأرسله معي معينًا واجعله وزيرًا ألتجئ إليه ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] ويحمل معي عبء هذه الرسالة فإني أخاف أن يكذبوني. إني أخاف أن يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا قبل أن نُبلغه رسالاتك، ونقيم عليه الحجة، وأن يتمرد على الحق ويطغى بملكه، وسلطانه وجنده وأعوانه[٣].

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] فقال الله تعالى لهما: لا تخافا أن سيفرط عليكما فأنتما بحفظي ورعايتي، أسمع قولكما، وأرى جميع أحوالكما، ولا تخافا منه[٤].

---

(١) الشنقيطي: آداب البحث والمناظرة، ص ٢٥.
(٢) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص ٥٦.
(٣) السعدي: ج٣، ص٢٦٣.
(٤) السعدي: ج٣، ص٢٦٣.

٦- وجود خلفية عن الطرف الآخر:

(تتفاوت عقول الناس وأفهامهم ومستويات ثقافتهم، والمحاور الفطن يعرف مع من يحاور، وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره)[١].

(فمن الضروري جدًّا أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة أو أن يعلم شيئًا عن ظروفه وبيئته وقدره ومنزلته وعلمه وأحواله إذ إن هذا يفيد كثيرًا في تحديد الأسلوب المناسب والاستعداد اللازم، كما أنه يعين على فتح قلبه والقرب منه وضبط أعصابه)[٢]. (فمعرفة حال من توجه إليهم الدعوة من حيث نفسياتهم وأخلاقهم، وعوائدهم وكل الأمور المعينة على أن يتفهم المتكلم نفسياتهم.. فيخاطبهم بما يحقق الغرض، ويصل به إلى المطلوب من أيسر طريق)[٣].

لذا يجب على المحاور أن يعرف مستوى الطرف الذي يحاوره في العلم، والفهم فإن الطالب لا يخاطب كما يخاطب العالم[٤]، والكبير لا يخاطب كما يخاطب الصغير أو النظير والذكي لا يخاطب كالغبي، وأنواع الناس مختلفة متباينة.

وليس كل متحدث ينشد الحوار، بل فيهم من يكفيه أن تصغى إليه فيستريح نفسيًّا وعندها يتقبل رأيك بسهولة. لأجل هذا كان لابد من ملاحظة بعض النقاط المهمة، والتي منها:

١- أن لا يكون المحاور هو البادئ، بل يجعل الطرف الآخر يبدأ حتى يدرك طبيعته ويستشف أسلوبه ويعرف هل هو ممن يحاورون بالعقل أم بالعاطفة ويرى نظرته للحياة ودرجة وعيه[٥]. وفهمه حتى يسبر غوره فيحدد من أين يأتيه وكيف يحاوره.

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٣٥.
(٢) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص١٨.
(٣) أحمد بن محمد طاحون: مرشد الدعاة إلى الله، ص ١٧.
(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٣٥.
(٥) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور؟، ص ٢٥.

٢-التمهيد للحوار، وذلك بالتلطف للدخول إلى قلب الطرف الآخر، وهذا له طريقتان:

أ- بطرح أسئلة محايدة بطريقة توحي أنك تشاركه في بعض قناعاته وبذلك يستطيع أن يسبر غوره دون أن يستفزه[١]. كما فعل المؤمن الذي جاء يدافع عن موسى (وذلك أنه لما رأي فرعون قد عزم على قتل موسى أراد الانتصار له بطريقة يخفى عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال: «أتقتلون رجلًا»، ولم يذكر اسمه بل قال رجلًا ليوهم أنه لا يعرفه.

ثم قال «أن يقول ربي الله» ولم يقل رجلًا مؤمنًا بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله «و إن يك كاذبًا» فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه، ثم تلا بقوله «و إن يك صادقًا» ولم يقل هو صادق، وكذلك قال: «يصبكم بعض الذي يعدكم» ولم يقل: كل ما يعدكم ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له، وأنه يزعم نبوته وأنه يصدقه.

بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله.. «إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب» وفيه تعريض بفرعون، إذ هو غاية الإسراف والكذب على الله، إذ ادعى الألوهية والربوبية)[٢].

ب- بطرح أسئلة في أمور عامة ليست لها علاقة مباشرة بموضوع الحوار؛ لتهيئة نفس المحاور و إعطائه فرصة للتأقلم مع جو الحوار[٣].

٣- لا بد من عدم افتراض شخصية معينة أو مستوى معينًا أو خطأ في المحاور فعلى صاحب الحوار ألا يفترض مسبقًا في محاوره الذكاء فيكلمه بحيث لا يفهم، ولا الغباء فيشرح ويبين ما لا يحتاج إلى شرح وبيان، وعليه أن يعتقد إمكانية الخطأ في نفسه و إمكانية أن يكون الآخرون على صواب. فالله تعالى لم يختصه بالعقل والعلم والفهم دون غيره[٤].

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٣٥.
(٢) جمعة أمين عبد العزيز: الدعوة قواعد وأصول، ص١٣١.
(٣) يحيى زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص١٢٣.
(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٣٥.

٤- الحذر من الاستفزاز؛ فهناك أناس يلقون القول أو شيئًا من الإشارة؛ ليخرجوا من يحاورون عن طورهم فيجعلونهم مادة للحديث[١].

ومن هنا نرى: أن وجود خلفية عن المحاور يضفي على نفسية محاوره شيئًا من الألفة والاطمئنان والثقة والمعرفة التي تساعد على سير الحوار بطريقة هادفة؛ وهؤلاء الملائكة عندما جاءوا إلى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن يعرفهم قالوا: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ [هود: ٨١]. قال القرطبي: (لما رأت الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفوه بأنفسهم، فلما علم أنهم رسل مكن قومه من الدخول)[٢].

كذلك في قصة مريم عندما جاءها جبريل لينفخ فيها طمأنها وعرفها بنفسه، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩]. كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١-١٢]. أي لما أتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ النار التي آنسها من بعيد، وهي في الحقيقة نور ناداه الله ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ فأخبره أنه ربه، وأخبره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته ويهتم لذلك[٣].

فهذا من تعريف الشخص بنفسه، أما من طلب التعرف بالطرف الآخر أو فتح مجالًا للحديث معه في أمور أخرى تمهد للحوار، مثل سؤال الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٧-١٨]. ومع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام أتى الكلام بطريقة الاستفهام فقال موسى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾، وذكر فيها هاتين المنفعتين: منفعة لجنس الآدمي وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه فيحصل فيها معونة ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم فإذا رعاها في شجر الخبط ونحوه هش بها، وضرب الشجر ليتساقط ورقه فيرعاه الغنم، وهذا الخلق الحسن من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي من آثاره حسن رعاية الحيوان البهيم والإحسان إليه؛ مما يدل على عناية من الله له واصطفائه وتخصيص تقتضيه رحمه الله وحكمته ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾.. أي مقاصد غير

(١) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص٢٥.
(٢) القرطبي: ج٩، ص٧٩.
(٣) السعدي: ج٣، ص٢٥٢.

هذين الأمرين، ومن أدب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله لما سأله عما في يمينه وكان السؤال محتملًا الإجابة عن غيرها أو منفعتها إجابة بعينها ومنفعتها[١]. وفي هذا السؤال غاية الإيناس للمسئول؛ حتى يكون هناك مجال لفتح الحوار وتهيئة للنفس لقبوله.

٧- اختيار الظرف المناسب:

يحسن بالمحاور أن يلقي نظره فاحصة فيما حوله قبل أي حوار ثم يحدد تلاؤم الحال للحوار؛ فإن وجده ملائمًا استعان بالله وبدأ وإلا سكت وتريث[٢] ونقصد بالظرف المناسب أمورًا:

١-ملاءمة المكان. ٢-ملاءمة الزمان.

٣-ملاءمة الطقس (الجو الحسي). ٤-ملاءمة الحالة النفسية للمتحاورين.

٥-ملاءمة الموضوع.

فمن حيث المكان:

قد يكون ناديًا عامًّا أو بيت صديق أو مكتب عمل وقد يكون مسجدًا أو سيارة[٣] فعلينا مراعاة المكان من حيث ضيقه وسعته؛ والأماكن العامة لا تصلح لحوار في قضية خاصة أو حوار طويل حيث تكثر فيها الشواغل والمقاطعات، فلا تصلح أماكن الضجيج مثل الأسواق والمدارس ونحوها فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية؛ لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية، وبقدر ما يقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقادون إلى الحق عند ظهوره.

ومن حيث الزمان:

فلا بد من مراعاة اتساعه للموضوع الذي يطرح للحوار، فلا يُحدد وقت في نهاية الدوام لانشغال الناس بالانصراف إلى منازلهم، ولا يكون في وقت متأخر من الليل حيث

(١) السعدي: ج٣، ص ص٢٥٥، ٢٥٦.
(٢) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص١٨.
(٣) أصول الحوار: ص ٣٢.

الرغبة في النوم أو قبل طعام أو استعداد لسفر، بل يختار وقتًا يتسع للحوار؛ حتى لا يؤدي إلى بتره أو عدم الفائدة منه. (والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للحوار ومناسبة طول وقته لأحوال الناس)[١].

ومن حيث ملاءمة الطقس:

إن وجود ما يؤذي جو الحوار يؤثر على طبيعة الحوار ونتيجته فلا بد من مراعاة الجو من حيث الحرارة والبرودة قبل البدء في النقاش، فالحر الشديد أو البرد الشديد يؤثر على جسم الإنسان وتفكيره سلبًا و إيجابًا.

ومن حيث الحالة النفسية للمتحاورين:

المحاور اللبق هو الذي يعطي الظروف النفسية وزنها ولا يهملها، فالإرهاق والجوع أو التعب والحزن والألم كل هذه الحالات وغيرها لا يصلح أبدًا أن يتم حوار مع شخص يعاني من بعضها أو أحدها كذلك لا بد من مراعاة حالة الحضور وهل هم على مستوى المناقشة أم أدنى؟ وهل فيهم من سوف يتدخل بشكل يفسدها، و يضيع إمكانية الانتفاع منها؛ كوجود مشاكس بينهم همه اللعب و إثارة الأعصاب مما يضيع الفائدة من الحوار و يشتت الانتباه.

ومن حيث ملاءمة الموضوع:

على المحاور أن يتذكر أنه مطالب بحسن انتقاء المعلومات التي يحاور بها وأن يكون الموضوع يندرج تحت اهتمام السامعين فما يصلح أن يروى أمام الخاصة لا يصلح أن يروى أمام العامة وما يتقبله الناس في بلد قد يرفضونه في بلد آخر[٢]. (رغم ذلك كله يظل اختيار الظرف المناسب أمرًا يحتاج إلى مران ومنزلقًا قل من ينجو منه)[٣]، (وفي حالات أخرى قد لا يملك المحاور أن يتحكم في تحديد موعد معين كأن يفاجأ في جمع من الناس من يلبس عليهم في أمر دينهم مثلًا أو يثير شبها، و يشكك في أصول وقواعد ومسلمات يبنى عليها

(١) علي باد حدح: مقومات الداعية الناجح، ص ٩٩.

(٢) يحيى محمد زمزمي: الحوار وآدابه وضوابطه، ص ١١٧، والندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٣٢.

(٣) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص ١٨.

دين المسلم عندها قد لا يسع المحاور إلا أن يتحين أقرب فرصة ويفرض نفسه لتصحيح الأخطاء التي ربما علقت بأذهان المستمعين، ورد الشبهات، ومن ثم إسكات المتكلم)[١].

أما آداب الحوار أثناء المحاورة فهذا ما نفصله فيما يلي:

وللحوار آداب ينبغي أن يتحلى بها الفرد المحاور أهمها:

١- حسن الاستماع:

السماع الكامل للآخرين يشعرهم باهتمامنا بما يقولونه وجديتنا في التحاور معهم وثقتنا في الوقت ذاته فيما عندنا، هذا معناه فن الاستماع للآخر وعدم الطمع في الكلام بدلًا منه؛ لأن هذا الطمع يزهدنا في قول الآخرين ... يقول أحد الشعراء:

إن بعض القول فن فاجعل الإصغاء فنًّا

فالإصغاء: فن القدرة على الانتباه والتمييز بين الحقائق والميول الشخصية كما أنه القدرة على التركيز فيما يقوله الآخرون وما يحاولون التعبير عنه، وهذا يتطلب سماع كل ما يقال، وليس فقط ما يتوقع أو ما يريد الشخص سماعه، ولذلك يشتمل فن الإصغاء على استجابات بناءة تساعد الشخص الآخر على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، والواقع أن كثيرًا من الناس يخفقون في ترك انطباع جيد في نفوس الآخرين، ويعود السبب إلى أنهم لم يتعلموا فن الإصغاء، إنهم لا يصغون باهتمام إلى حديث الآخرين ويحصرون اهتمامهم فقط فيما سيقولونه، ولكنهم لا يلقون بالًا لما يصدر عن الآخرين من حديث وأفكار[٢].

أنواع الإصغاء:

بالرغم من أن الإصغاء هو فن القدرة على الانتباه من أجل التمييز بين الحقائق والميول الشخصية فإنه يمكن تقسيمه إلى الأنواع الثلاثة التالية:

---

(١) يحيى محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص٤٨١.

(٢) سناء محمود عبدالله عابد: الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة، وكالة الرئاسة العامة لتعليم البنات، ١٤٢٠هـ، ص ٥٢٠.

أ- الإصغاء إلى المعنى الكامل حيث إن أي رسالة يحاول الإنسان إيصالها تحتوى على عنصرين هما: المحتوى، والشعور.

ويعطي هذان العنصران معًا معنى وافيًا للرسالة، وهو المعنى الذي ينبغي فهمه.

ب- الاستجابة للشعور: وهي قاعدة مهمة؛ حيث يكون المحتوى أقل أهمية بكثير من الشعور الضمني للمحتوى وفي هذه الحالة يأتي الإصغاء بالتركيز على الشعور أكثر من المحتوى.

جـ- ملاحظة جميع التلميحات: فالواقع أن كلمات المتحدث لا تقول كل ما يريد المتحدث إيصاله لنا؛ لذلك ينبغي عند الإصغاء الانتباه إلى جميع وسائل الاتصال بالإضافة إلى الحديث، ويشتمل هذا تعبيرات الوجه وحركات العينين واليدين والتردد في قول شيء ما.

والأسباب التي تؤدي إلى عدم الإنصات، هي:

١- أن يكون لديك شيء تريد أن تقوله وتعتقد أنه أفضل مما يقول المتحدث.

٢- أن تظن أنك تعرف الإجابة مسبقًا لما تعتقد أنه صلب موضوع الحديث.

٣- إذا لم يعطك المتحدث أي سبب أو دافع لإنصات كأن يتكلم بنبرة واحدة دون أن يغيرها ودون أن تصدر عنه أي حركة أو انفعال يدعو للإنصات.

٤- أن تكون سرعة حديث المتكلم أقل أو أسرع بكثير من سرعة استيعاب المستمع.

٥- أن تعتقد أن المتكلم ليس لديه شيء مهم يقوله أو يستحق الاستماع.

٦- أن يكون لديك اعتراضات مسبقة بسبب معرفة بموضوع التحدث.

٧- أن يكون لديك آراء واتجاهات أخرى.

٨- أن تكون في حالة تفكير فيما تريد أن تقوله.

٩- أن تكون لديك قناعة أن التحدث عمل إيجابي والإنصات عمل سلبي[١].

ومن الأسباب التي تؤدي بالناس إلى الإنصات:

١- أن تحب المتحدث أو تكون معجبًا به (إن الناجحين في ميدان العلاقات الإنسانية المتمتعين بحب الناس ومعاونتهم هم أنفسهم يحبون الناس ويتوددون إليهم ويتقربون منهم)[٢].

٢- أن تعتقد أن المتحدث لديه ما يستحق الاستماع.

٣- أن يكون هناك احتمال الثواب أو العقاب في الإنصات أو عدمه.

٤- حينما تعتقد أن هناك احتمالًا بأن يطلب منك التعليق على النقطة التي تم الحديث عنها.

٥- أن يكون لديك احتياج حقيقي ودافع للحصول على المعلومات.

٦- أن تعتقد أنك إذا أنصت جيدًا للمتكلم فإنك تستطيع مناقشته فيما بعد.

ومن آداب الاستماع كذلك الإصغاء إلى الطرف الآخر، وهو نوع من التواضع وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين يطرد العجب بالنفس وأدعى إلى الإخلاص والتجرد وفيه مراعاة للوقت ولاستيعاب الطرف الآخر للكلام، إذ إن المستمع لا يستطيع أن يركز في سماعه أكثر من ربع ساعة وبعدها يكل الذهن، ويقل التركيز[٣].

وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تمامًا، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه[٤].

---

(١) سناء محمود عبد الله عابد: الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة، وكالة الرئاسة العامة لتعليم البنات، ١٤٢٠هـ، ص ٥٢٠.

(٢) د. محمد قرني، عمرو علي يوسف: كيف تنجح في معاملة الآخرين، ص ١٩١.

(٣) يحيى زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٣٦.

(٤) الشنقيطي: آداب الحديث والمناظرة، ج٢، ص٧٦، وأصول المعرفة والاستدلال الميداني، ص ٣٨٣.

وقد استمع الله تعالى لأسوأ خلقه إبليس وترك له فرصة إكمال حديثه رغم بطلانه، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢-١٨].

وهكذا يتبين لنا: أن الله تعالى بعظمته وجلاله قد جعل إبليس من المنظرين وأمهله إلى يوم يبعثون، واستجاب لطلبه رغم خبثه وسوئه وتلك حكمة الله، كذلك أخبرنا عن استماع الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم وإنصاتهم لحججهم الواهية، فهذه ردود قوم سيدنا شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الاعراف: ٨٨].

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. وفي هذه الآيات تبدو لنا أخلاق شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وحسن إنصاته رغم أنه يلقب بخطيب الأنبياء وتحمله لردود قومه ومهاجمتهم وتهديداتهم إنه غاية ضبط النفس.

يقول صاحب الظلال: (ويتلطف شعيب تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه ويعرض عن تلك السخرية لا يباليها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم يتلطف في إشعارهم انه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه، وأنه على ثقة مما يقول، لأنه أوتى من العلم ما لم يؤتوا)[١].

وقال الرازي: (إن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد، وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل اختيار الطريق الأصوب والأصلح)[٢].

(١) سيد قطب: ظلال القرآن، ص ١٩٢٠.
(٢) الرازي: ج١٨، ص٤٦.

كما بين لنا تعالى في القرآن الكريم سوء أدب بعض الأقوام وعدم إنصاتهم و إعراضهم عن الاستماع فهؤلاء قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال عنهم تعالى واصفًا حال نوح معهم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥-٧].

وليس من الأدب عدم الاهتمام واللامبالاة بكلام المحاور، أو عدم الاكتراث برأيه أو تعمد الانشغال عنه أثناء كلامه بل ينبغي أن يتكلف الصبر على استماع محاوره و يتعمد إظهار الاهتمام بكلامه فهذا أدعى للتفاهم بين الطرفين وأقرب لنجاح الحوار حتى و إن كان الكلام معروفًا لدى السامع أو مكررًا فهذا عطاء بن رباح علاّمة التابعين رحمه الله يقول: (إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد)[١].

و يكفينا بيانًا لأهمية الإنصات والاستماع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [طه: ١٣].

قال القرطبي في معناها: إنه بذلك ينال الفهم عن الله تعالى، روي عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والإصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها[٢].

٢-التدرج والبدء بالأهم:

(إن العلوم مرتبة ضروريًّا و بعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب)[٣]. فالشيء إذا كان ابتداؤه سهلًا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته الازدياد بخلاف ضده.

---

(١) الإمام شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٨٦.
(٢) القرطبي: ج١١، ص١٧٦.
(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١، ص٥٢.

لذلك فإن معرفة الأهم والبدء به وتحديده بوضوح يسهل كثيرًا مهمة المحاور وأوضح الأمثلة بدء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأهم قضية وأعظم غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له[١] فكان كل نبي يدعو قومه بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]. قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام. كذلك يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأله صاحبا السجن كان جوابه بالأهم من ذلك فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]. فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأ معهما بالقضية الأهم وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته يتدرج معهم فيها خطوة خطوه، ويعرضها بموضوعية فبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويوقظها) ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وفي هذا السؤال جوابه فلا شك أن الواحد القهار خير وهو الذي له العبادة وحده.

ثم يخطو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خطوة أخرى في مواجهة عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية فيقول:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾. فتلك الآلهة والأرباب لا دليل على عبادتها ولا حجة لها ولا برهان فلم يجعل الله لها سلطانًا، ولم ينزل بها من سلطان ثم يضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة فيبين لمن ينبغي أن يكون السلطان والطاعة أي لمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقرر أخيرًا أن الدين الصحيح القيم هو الذي لا يعبد فيه إلا الله وحده لا شريك، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه[٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في ذكر الفوائد من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ومنها أن يبدأ بالأهم فالأهم وأنه إذا سئل المفتي وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه أنه ينبغي له

(١) علي بن عمر بادحدح: مقومات الداعية الناجح، ص ٩٥.
(٢) يحيى محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص ٣٠٣.

أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه فإن يوسف لما سأله الفتيان عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها.. دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له)[١].

وبالجملة فإن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش يبعثر الجهد ويفقد التركيز.

٢- الإقرار بالخلاف:

إن من سنن الله تعالى في خلقه أن جعلهم مختلفين فوقوع الخلاف أمر مسلم به بين كل البشر فهم مختلفون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وفي مدركاتهم وفي عقولهم وأفهامهم وأشكالهم[٢]. ولعل ذلك من أسباب تتابع الرسل وتوالي الكتب، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. ويكون الخلاف في أمور الدين صغيرها وكبيرها.

ولعل سبب ذلك تباين الطبائع فالناس مختلفون في تنشئتهم وثقافاتهم في ميولهم ورغباتهم ناهيك عن اختلاف الهمم. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] لو شاء لجعلهم كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لكن لا يزالون مختلفين فهم على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم، فكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضًا اختلافًا كثيرًا لا ينضبط.

إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة ولا يزال واقعًا جزء من هذه الظاهرة الطبيعية فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزم آدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد.

---

(١) السعدي: ج٢،، ص٤٤٨.

(٢) صالح بن حميد: أدب الخلاف، ص١٢.

ورغم أن الخلاف طبيعة بشرية واحدة فإن الله تعالى جعله منهجًا للاتفاق ونبذ الخلاف وأعطانا لغة الحوار كوسيلة من وسائل الاتفاق.

وحيث إن الخلاف هو منازعة تجري من المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل)[١].

فمتى وُجد نوع من الخلاف فإن الغالب أنه ينتج عنه الحوار أو النقاش الذي بواسطته يحسم الخلاف فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة؛ فلا بد أن يوجد فيها خلاف، وهذا يبين أهمية الحوار والجدال والمناظرة ؛إذ بدونها ينمو الخلاف لذلك لابد من مراعاة أمور مهمة:

١- عند حدوث الخلاف الذي يؤدي إلى النزاع بين لنا الأصل الذي يرجع إليه المتنازعون فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهو كتاب الله وسنة رسوله.

٢- عدم الانسياق وراء الأهواء والالتزام بالضوابط المنهجية والاستناد إلى المنطق السليم واعتبار المخالف طرفًا في حوار متكافئ لا يجوز رفض رأيه سلفًا أو التعصب ضده أصلًا. وإنما كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

فإذا كان هذا خطاب المؤمنين لغيرهم. أفلا يكون هذا درسًا بليغًا لهم فيما يجب عليهم في حوارهم عند اختلاف الرأي بينهم؟

٣- اختلاف الآراء ينبني على اختلاف القلوب؛ لأن اختلاف القلوب خطر يتهدد الإيمان كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)[٢].

(١) صالح بن حميد: أدب الخلاف، ص ١٢.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في إفشاء السلام، رقم (٤٥١٩).

٤- ينبغي ألا يتجاوز المتحاورون حدودهم؛ فيعمدون إلى الإثارة والاستفزاز والدس والوقيعة والسخرية[١].

ومما ساعد على مواجهة الخلاف تحليل الأصول والفروع وتقرير الأولويات فلا يؤدي النزاع على الجزئيات إلى إهدار الاتفاق على الكليات ولا يتورط المختلفون حول نافلة في التجني على فريضة فلا بد أن نتقبل الحوار بصدر رحب ونتسامح مع المخالفين، ونجعل شعارنا ما قرره الإمام ابن القيم بقوله: (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)[٢].

وقال الشافعي: (رأي الصحابة لنا خير من رأينا لأنفسنا ونحن نقول ونصدق)[٣].

وما أجمل قول الإمام أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب)[٤].

وقد روى أبو يوسف والحسن بن زياد كلاهما عن أبي حنيفة أنه قال: (علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب)[٥].

ولا بد أن يضع المحاور في ذهنه أنه ربما كان لدى غيره شيء يتعلمه منه فيحرص على أن يظل المجال مفتوحًا لتقليب وجوه الرأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب دون أن تختلف القلوب وتتفرق الصفوف[٦].

وقد ذكر الشاطبي في الاعتصام[٧] رواية عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي قوله: (ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولًا واحدًا لكان الناس في

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص٢٤.
(٢) ابن قيم الجوزية، د/ محمد سلام مدكور: أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١، ص٧٥، المدخل للفقه الإسلامي، ص١٠٣، مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص٦٤٣.
(٣) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٢٤١.
(٤) د. محمد سلام مدكور: مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص٨٩.
(٥) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين ج١، ص٧٥، القاضي عياض: انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، د. أحمد بكير محمود: ج١، ص١٤٦-١٤٧.
(٦) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص٢٤.
(٧) الشاطبي: الاعتصام، ج٢، ص١٧٠.

ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم). (إن الاختلاف جملة وتفصيلًا رحمة من الله تعالى وتوسعة إلا ما قامت الأدلة على بطلانه وشذبه قائله عن الإجماع أو عن الجماهير الأكثرية الأغلبية من علماء المسلمين سلفًا وخلفًا وهذا ما يسميه علماء الأصول «ندرة» المخالف أو كان خلافه مما يسميه السلف بنوادر العلماء أو شواذهم أو كان الخلاف فيه ضعيفًا)[١].

أسباب عامة للخلاف بين الناس:

١- الجهل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقد أخبر رسول الله ﷺ أن سبب الضلال هو الجهل حيث قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[٢].

٢- اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣].

٣- إن الله الذي أوجدنا لم يترك الناس هملًا بل دلهم على طريق الخلاص بالرجوع إليه.

٤- إن من ابتعد عن الجهل والهوى والتعصب سلم.

٥- إن من الخلاف ما هو سائغ ووجوده رحمة للمسلمين.

فإذا أدرك المحاور قبل حواره أن الخلاف طبيعة بشرية أقبل على محاوره بنفس مطمئنة وروح هادئة سببًا في تقارب وجهات النظر وإماتة روح الفرقة والاختلاف[٣].

٤-التدعيم بالأمثلة والحقائق:

(المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة)[٤]، ويستخدم هذا الأسلوب حينما يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الخاص[٥]، (والتمثيل هو إلحاق أحد

(١) محمد عوامة: صفحات في أدب الرأي، ص٨٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، حديث وقم ١٠٠، ص٥٩.
(٣) د. طارق حبيب: كيف تحاور دليل عملي للحوار، ص ١٤.
(٤) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص ٣٦٤.
(٥) ابن أبي الأصبع المصري: بديع القرآن، ص ٣٤٢.

الشيئين بالآخر وذلك بأن نقيس الأمر الذي نريد إثباته على أمر معروف عند المخاطب، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول ونبين الجهة الجامعة بينهما)[١].

من فوائد ضرب الأمثلة:

١- وسيلة لإقناع المحاور بالفكرة الصحيحة.

٢- وسيلة لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحًا وبيانًا.

٣- تيسير الفهم.

٤- يمكن المعنى من النفس أيما تمكن[٢].

وقد لخص الحافظ ابن حجر رحمه الله بعض فوائد ضرب الأمثلة في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن فقال: (وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة)[٣].

ويبين ابن القيم: أن الأمثال تضرب (لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به؛ فإنه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ففي الأمثال تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورًا ووضوحًا.

فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له فهي كالزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته)[٤].

---

(١) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص٣٧٢.

(٢) عبد المجيد البيانوني: ضرب الأمثال في القرآن، أهدافه التربوية وآثاره، ص٢١.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قول المحدث (حدثنا) أو (أخبرنا) و(أنبأنا) و ج١، ص١٤٧.

(٤) ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص١٨٢ ١٨٣-.

ولا ننسى أن المستمع قد يفقد تركيزه أثناء الحوار فيأتي المثال مشيرًا بفكرة لم تسمع أو مجليًا لعبارة لم تدرك، ولكن استخدام الأمثلة فن يحتاج إلى الانتباه إلى النقاط أو المحاذير التالية:

١- اختيار الوقت المناسب لاستخدام الأمثلة.

٢- تجنب الإغراق في استخدامها حتى لا يورث السامع الملل.

٣- تحرى دقة المثال.

٤- مراعاة أن تكون بمستوى السامع لا دونه فيحتقرها ولا فوقه فتعجزه، والذكي ليس كغيره فلا بد من مراعاة ذلك[١].

ولما كان ضرب المثل له هذه الأهمية العظمى في الحوار فقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب حيث قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٧٨-٨١].

٥- طلب الإنظار وعدم الاستعجال:

قد يبتلى المحاور بخصم عجول لا يحسن الاستماع ولا يجيد الإنصات يقاطع أثناء الكلام ويرد قبل أن يفهم ويجيب قبل أن ينتهي السؤال فعند ذلك ينبغي للمحاور أن يطلب من خصمه الانتظار والاستماع بهدوء وعدم استعجال ويترك المقاطعات والتداخلات، وأحيانًا قد لا يكون الطرف الآخر كذلك ولكن يريد المحاور أن يؤكد أمر الانتظار والتمهل ويخشى من استعجال محاوره فلا بأس بأن يذكره بطلب الإنظار ويؤكد عليه بعدم الاستعجال[٢]؛ لأن التسرع يفسد الحوار وقد ذكر العلماء في آداب المناظرة:

---

(١) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص ٢٦.

(٢) يحيى زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، ص٤٦٢.

١- ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر، حتى يفهم مراده من كلامه[١].

٢- ألا يكون متسرعًا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية ويبعده عن منهج المنطق السديد والتفكير في الوصول إلى الحق.

وهذا القرآن يضرب لنا أروع الأمثلة في إنظار الخصم حتى يتم حججه رغم بطلانها فهذا إبليس يتحدث عن آدم ويجادل ربه فيتبرأ ثم يطلب الإمهال إلى يوم يبعثون فيمهله الله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢-١٥].

٦- الهدوء وعدم الغضب:

ومن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المحاور الهدوء وعدم الغضب فإذا لم يوافقك صاحبك على رأيك فلا تغضب ولا تحاول أن تحمل الناس على ما تراه حقًّا وصوابًا[٢].

ولا تترك الغضب يستولي على قلبك؛ لأن (قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب)[٣].

والداعي إليه أمور قد تكون الكبر أو الرغبة في الانتقام أو فوات مستحبات إلى آخر ذلك من الأسباب التي يظهر من تعدادها أنها من الأمور المستبعدة عند الحوار السليم، والغضب في ذاته أمر مذموم.

المطلوب أن يبتعد عنه صاحب العقل السليم ولذلك كانت نصيحة رسول الله للرجل الذي طلب منه أن يأمره بعمل وأن لا يكثر في الوصية قال: (لا تغضب ثم أعاد عليه فقال: «لا تغضب»[٤].

---

(١) الشنقيطي: آداب البحث والمناظرة، ج٢، ص٧٦.
(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص ٧١.
(٣) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٦٧.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الغضب، ج٨، ص ٣٥.

وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١].

(وفي الغضب عند الحوار محاولة لإبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها، فالغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته. وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر اللذين هما من صفات المؤمنين وأسلوبا من أساليب الحوار الجيد وخصوصًا إن كان محاورك من سريعي الغضب فأنت تأسره بهدوئك وطمأنينة نفسك)[٢]. إذ الهدوء والسيطرة على النفس مهم جدا لحوار الناجح قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

ويتحقق هذا الأدب بالوسائل التالية:

١- إشعار المحاور بالهدوء والصفاء والتوازن والقدرة على قيادة النفس والتحكم في الأعصاب.

٢- الهدوء المطلوب الذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم وفهم واستيعاب لكلامه وتمييز ما يمكن إقراره وما يجب رده ومراقبته لتصرفات الطرف الآخر.

٣- ألا يجعل الخوف والقلق والذعر والاضطراب يتسرب إلى نفسه وإن أحس به فعليه إخفاؤه عن الطرف الآخر واستعادة توازنه بقدر الإمكان، وعندما يتجنب المحاور ردود الفعل العصبية ويكبح جماح نفسه ويستقبل الانتقادات بروح مرحة ويتقبل الاعتراضات بصبر وتؤده إن ذلك الهدوء العميق يثير قلق الخصم العنيد ويعطي الطرف الآخر قوة لا تقهر.

٤- لا بد من حسن الاستماع ويتكلف الصمت والإنصات أمام سرعة الانفعال والتوتر العصبي والهياج والقلق فتأثيرها سيئ على ذهن المحاور ونفسيته.

٥- عدم رفع الصوت أكثر مما يحتاج إله السامع ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩]. قال الزمخشري: (فتشبيه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والأدب، رقم ٢٦٠٩، ج٤، ص٢٠١٤.
(٢) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص٣٩.

الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرًا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهية الله بمكان[١].

وقال صاحب الظلال: «والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيئ الأدب أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق»[٢].

٦- الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة فتنقلب الخصومة إلى الولاء وينقلب الهياج إلى وداعة بكلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية في وجه هائج غاضب، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح[٣].

والأمثلة في هدوء الأنبياء وعدم الغضب كثيرة جدًّا فهم يواجهون التهم من أقوامهم على نحو ما استشهدنا به من آيات كريمة في مواضيع شتى.

٧-احترام المتحاورين:

الحوار أسلوب راق للتفاهم بين الأطراف المختلفة للوصول إلى نتيجة سليمة، ولكي نحقق أفضل النتائج لا بد من احترام الآخرين؛ لأن الخلاف ليس مسوغًا للتخلي عن الأخلاق الفاضلة، فنجد القرآن الكريم يأمرنا حتى في حالة جدالنا لمن يخالفنا في الدين أن يكون ذلك بالحسنى؛ حيث قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فعلى المحاور احترام الطرف الآخر مسلمًا كان أو غير مسلم، ويمنحه حقه من التقدير والتوقير[٤].

---

(١) الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص٢٣٤.
(٢) سيد قطب الظلال: ج٥، ص٢٧٩.
(٣) أحمد فايز: طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١، ص١٩٣.
(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص٥٣.

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»[١] فقد كان عليه الصلاة والسلام محترمًا حتى لأعدائه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام في حوارهم مع أقوامهم، وهناك نقاط لا بد من مراعاتها لإشعار الآخرين بالاحترام.

١- مراعاة منزلة الشخص الذي نتحاور معه إذا كنا نعرفه قبل ذلك. (فنحن مأمورون بإنزال الناس منازلهم). فإذا كان له منزلة اجتماعية أو كبر في السن أو مكانة علمية لا بد من إضفاء الألقاب المناسبة له بالحق والاحترام دون مبالغة أو نفاق.

أما إذا كان الشخص غير معروف لدينا فلا مانع من تكنيته بأبي فلان أو إضفاء بعض الألقاب المتعارف عليها حسب سنه كعم فلان أو أخ فلان حسبما يقتضيه المقام.

٢- الثناء على جوانب الخير في الإنسان وذكر صفاته الطيبة.

٣- إبداء الإعجاب بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر، ويسلم بها وربما يقتبس المحاور من كلام صاحبه في وقت لاحق عبارة جيدة تفوه بها في وقت سابق، وهذا يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائه ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات وتضفى على المحاور صفة الموضوعية.

٤-محاولة رؤية الأمور من وجهة نظر المحاور.

٥- الإقبال على المحاور والإشراق في وجهه والتبسم له.

٦- إذا انتقل إلى نقطة أخرى دون الاعتراف بالتسليم نحترم رغبته لأننا أردنا إبلاغه الحق، وليس من الضرورة أن يعترف هو بذلك.

٧- عدم تأويل الكلام إلا بخير ما دام هناك مجال للتأويل الحسن.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (حسن الظن من حسن العبادة)[٢].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٥).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٣٤١).

٨- عدم ذكر الإنسان بما يكره وتنقصه وإظهار جهله وقصوره خاصة إذا كان في ذلك مصلحة عامة للمسلمين، وكان القصد إظهار الحق وتبين الخطأ يكون من أهل البدع والضلالة.

٩- حفظ اللسان من الاستهزاء والاحتقار وكلام السفهاء والاحتفاظ باللهجة المهذبة.

والقرآن الكريم يبين لنا أروع الأمثلة في احترام الآخرين رغم تصلبهم وعنادهم بل وكفرهم وإيذائهم.

فالوصية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند ذهابه إلى فرعون جاءت القول اللين: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، أي فقولا له قولًا سهلًا لطيفًا برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال ولا فظاظة في الأفعال[1].

٨-إقامة الحجة:

الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق على يدي أحد المتحاورين؛ لذلك على المحاور أن يتجنب أسلوب الإفحام والتحدي بداية لأنه يبغض صاحبه للآخرين وقد يفحم الخصم ويعجز عن الجواب، ولكنه لا يقتنع أو يسكت بقوة الحجة ولا يسلم للحق، ويترك في نفسه حقدًا وغيظًا وهذه نتيجة لا يجب أن يصل إليها المتحاوران وربما كان كسب القلوب أهم من كسب المواقف. وقد يحتاج المحاور أحيانًا إلى التحدي والإفحام إذا كان يتحاور مع من همهم الجدال والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الآخرين والإساءة إلى الفكرة وإهانة المبادئ وتجاوز حدود الأدب فلا بأس بالهجوم الحاد على مثل هذه النوعية لتبين وهن أفكارهم واضطراب أقوالهم وإزالة لددهم، ومكابرتهم الحق؛ لأنهم إنما يريدون بذلك معارضة ما خالف هواهم دون تدبير للحقائق أو عدل في النظر والتفكير، وهذا ما فعله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند محاجته النمرود بعد ما آتاه الله الملك؛ فاستعلى واستكبر وامتنع عن قبول الحق وطلب الأدلة والبراهين على وجود الله حيث قال له إبراهيم: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١) السعدي: ج٣، ص٢٦٢.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وبذلك وقف وانقطعت حجته واضمحلت شبهته وبان كذب دعواه.

٩-إنهاء الحوار:

إن مما يلاحظ في أغلب الحوارات والمناقشات أن الحديث ينتقل من نقطة إلى أخرى ومن الثانية إلى الثالثة ثم ربما عاد إلى الأولى ويحدث استطراد وتنوع، وتتداخل الخواطر والعواطف والأمزجة والأفكار بحيث لو حاول إنسان أن يربط بين الأفكار آخرها وأولها لتعب كثيرًا.

ولو حاول أن يحصر القضايا التي طرحت لوجدها كثيرة، ومثل هذا الأمر يضيع الوقت والجهد ويبدد الطاقة ويجعل المناقشة عقيمة وسطحية وقليلة الفائدة، لذلك على المحاور أن يحرص ما استطاع إلى ذلك سبيلًا على التركيز في الحديث والنجاة من الاستطراد والشتات وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة محددة ينصرف الناس بعد أن تكون قد وضحت لديهم كتأصيل مبدأ أو التنبيه إلى كتاب أو الإشادة بمؤلف[١].

ويجد المحاور نفسه بعض الأحيان مضطرًا إلى وقف الحوار إذا تبين له أن الظروف المحيطة لاستمراره غير مناسبة، أو أن الطرف الآخر دون المستوى المطلوب جدية وعلمًا، ومن بلغ الحد في اللجاجة لا ينفع معه الحوار[٢].

وفي بعض الأحيان يجد المناقش أن شقة الخلاف بينه وبين الطرف الآخر كبيرة جدًّا وأن هناك اختلافًا على أمور أساسية لا يسمح الوقت بمناقشتها أو تكون مناقشتها مع هذا الشخص بالذات تضييعًا للوقت وتبديدًا للجهد عند ذلك يكون من الأفضل إغلاق المناقشة وإشعار الطرف الآخر بأننا لم ننسحب عجزًا أو نترك النقاش هزيمة[٣].

وقد ذكر القرآن ضرورة الإعراض في بعض المواقف؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص٧٠.
(٢) طارق علي بن الحبيب: انظر كيف تحاور، ص٦٧.
(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، ص٤٧.

عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

١٠-استخدام كلمات لطيفة أثناء الحوار:

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة والحوار الناجح فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه وكم من باطل ظهر لأن الذي يدعو إليه فصيح بليغ؟! ولذلك عندما كلف الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالتوجه إلى فرعون ودعوته لعبادة الواحد القهار سأل الله تعالى ما يعينه على تلك المهمة الشاقة فقال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٧-٢٨]، فالمحاور الجيد يناقش بتلطف وأناة ويقدم لكلامه ويختمه بعبارات تذوب رقة ولطافة وتبلغ من الأثر في نفس السامع ما لا تبلغه الحجة الدامغة قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، ولابد للمحاور أن يراقب نفسه أثناء حواره هل يتعالى بإشارة أو كلمة؟ هل هو مستمع جيد؟ ويحرص على بساطة العبارة بلفظ موجز.

فمن البيان أن يعرف متى يتكلم ومتى ينصت ومتى يجيب.. وهناك بعض الكلمات التي تفتح مغاليق النفوس وتفعل فيها فعل السحر مثل:

- المناداة بالاسم أو بما يحب أو بما يليق من ألقاب وكنى في البداية.
- لقد كانت مناسبة سعيدة أن تعرفنا عليك يا أخ فلان.
- يطيب لي.
- معذرة اسمح لي.
- عفوًا هلا شرحت لي وجهة نظرك.
- إن شهادتك العالية وعقليتك المتفتحة تجعلني أتكلم معك بصراحة.
- تحدث شخص في هذا الموضوع فأبدى رأيه قائلًا.. حبذا لو أخذنا من كلامه.

■ أقترح كذا.

■ إنني أسمع لك، إنني مصغ إليك.

■ هل انتهيت من هذه النقطة؟

■ نحن متفقان في غالب الأمور، وخلافنا على أمور فرعية.

■ إنني أحترم وجهة نظرك.

■ اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع.

■ قد أكون مخطئًا وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطأي.

■ أشكرك على هذه النقطة ولعلي أضيف إضافة صغيرة.

■ إنني أرى رأيًا آخر قد أكون مخطئًا فيه فلنختبره معًا.

■ لا أدري أو لا أعلم عن هذه القضية.

■ كنت سعيدًا بالحوار مع شخص مثلك وأتمنى أن يكون بيننا لقاء دائم.

■ أنا آسف على ما يحصل، ولكننا اتفقنا على أن يكون الحق هدفنا[1].

وهناك كلمات قد تفسد الحوار: (أنا - نحن - رأيي - تجربتي - خبرتي - تبين لنا) لأن استعمال ضمير المتكلم قد يوقع في مدح النفس، والتأكيد على الخبرة والثقافة قد يوقع في فساد النية ويترك انطباعًا سلبيًّا لدى السامع يجعله ينفر منه، والإنسان بطبعه يكره من يتعالى عليه، وهذه المبادئ التي تفيد في الحوار:

■ لا ترفع صوتك: وليس معنى ذلك أن تخفض الصوت لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث وإنما خير الأمور الوسط، ويلزم أن نخفض الصوت ونرفعه انفعالًا مع الحديث فإن لذلك دخل في تجديد الانتباه ولا بد أن لا يكون الصوت على وتيرة واحدة، وحتى تتم الفائدة فلا نسرد الكلام سردًا بل نجزئه ونرتبه ونتمهل فيه ليفكر

(١) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص ٩٦ - ٧٠.

فيه السامع. فالضجيج لا يستر العجز والهدوء لا يضيع الحق والتوقف قبل وبعد الأفكار المهمة[١].

- لا تصر على خطئك: فالإصرار على الخطأ يفقدنا احترام الناس والأسلوب الصحيح أن نسلم بأخطائنا.
- لا تخطئ محدثك: بقولك: سأثبت لك عكس ذلك وأنت مخطئ في هذا الأمر؛ لأن هذا الأسلوب يكسبك عداءه.
- لا تسخر من الآخرين.

وإذا كانت هذه آداب الحوار كما أوضحناها هنا من خلال ما ينبغي أن يتحلى به المتحاورون قبل الحوار، وأثناء الحوار، وبعد الحوار فإن ذلك يحقق الآداب الشرعية للحوار؛ حتى يأتي الحوار بنتائج إيجابية.

وتتمه لهذا التناول فإننا في حاجة إلى رصد معوقات الحوار، التي تحول دون تحقيق أهدافه، ودون بلوغه غايته، وكيفية التغلب على هذه المعوقات، وهذا ما ستعرض له في المبحث القادم.

(١) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ص ٤٢.

المبحث الخامس
معوقات الحوار

يعد حديثنا عن معوقات الحوار استكمالًا لما ذكرناه من آداب الحوار - في المقابل؛ ذلكم أننا تحدثنا عن آداب الحوار، وانتفاء هذه الآداب معوق من معوقات تحقيق الحوار وأهدافه، كما أننا أبرزنا أصول الحوار وقواعده، وانتفاء هذه الأصول والقواعد والمقومات يعد معوقًا كذلك، كما أننا أبرزنا أهداف الحوار، وعدم وضوح أهداف الحوار لدى المتحاورين معوق كذلك؛ فضلا عن وجود معوقات تتصل بالمحاور، والمتحاور معه، وموضوع الحوار، والجمهور، وقناة الاتصال.

وبوسعنا تفصيل معوقات الحوار فيما يلي:

١- عدم وضوح أهداف الحوار؛ مما يجعل الوصول إلى الحق ليس واضحًا، وتتسع هوة الخلاف، وتتباعد وجهات النظر. كما أن التكبر والتعالي لدى المتحاورين يمنعهما من التسليم بالحق، والانقياد للهوى؛ مما لا يساعد على كشف الشبهات، وتفنيد الأباطيل، وإزالة الغشاوة. كما أن التعصب للرأي يجعل المرء لا يسمع إلا نفسه، ولا يرى إلا ما يحب أن يرى، وعندئذ يصعب الوصول إلى الحقيقة، ويكون الحوار غير ذي قيمة.

٢- قلة الفقه بأساليب التحاور والتخاطب وإدارة الحوار، وقلة الإلمام بقضايا العصر، وأحاجيج الخصم وثقافته وخلفيته، وقلة الثروة اللغوية التي تساعد على الرد والمحاجاة والإقناع، وضعف القوة النفسية، مما يجعل من السهل التأثير عليه أو مباغتته وانهزامه، وضعف التنظيم الفكري؛ مما يجعله يدور حول الفرعيات تاركًا الكليات، وبادئًا بالمهم وتاركًا الأهم؛ كل هذه من معوقات الحوار الجيد الصحيح.

٣- عدم الالتزام بآداب الحوار، التي ينبغي وضوحها قبل بدء الحوار، والتي ذكرناها في المبحث الرابع من هذا الفصل، والتي لا يُلتزم بها، وإنما يظهر نقيضها لدى المتحاورين، قبل بدء الحوار مثل: الرياء، والجهل بالموضوع، والكذب، وعدم الالتزام بما يدعو إليه المحاور، وعدم التكافؤ بين المتحاورين، وعدم وجود خلفية عن الطرف الآخر، وعدم اختيار الظرف المناسب.

فضلًا عن عدم التحلي بآداب الحوار أثناء الحوار، وبروز نقيضها مثل عدم الاستماع الجيد وسوء الإنصات، وعدم التدرج، والبدء بالأقل أهمية، وعدم الإقرار بالخلاف، وإغفال التدعيم بالأمثلة والحقائق، وكثرة الغضب، وعدم الهدوء، وعدم احترام الطرف الآخر، والتقليل من شأنه، وعدم القدرة على إقامة الحجة، وعدم القدرة على استخدام كلمات لطيفة أثناء الحوار، وافتقاد القدرة على إنهائه بلطف ولباقة.

٤- ومن معوقات الحوار الاستعلاء وحب النفس، وغمط الحق، وتشويه الحقائق، وعدم التسامح، وتغليظ القول، وغلبة التقليد في الموضوعات والآراء، وفساد البيئة الفكرية والاجتماعية التي يدور الحوار بها. وكذلك سوء النية لدى منظمي الحوار، وعدم اختيار الوقت والمكان المناسبين، وقلة الوعي لدى الجمهور المتابع، وقلة ثقافتهم وإلمامهم بموضوع الحوار، وانقيادتهم وسرعة تسلمهم بالآراء دون بينة أو موضوعية، واعتماد الجماهير على التسليم للمشاهير حتى ولو كانوا على باطل، وذلك لغلبة التقليد لديهم، وسهولة الاستمالة لهم.

ومادمنا قد عرضنا هنا لمعوقات الحوار؛ فإنه يبدو لنا أن كثرة الخلاف من أهم معوقات الحوار، ولذا نخصص هذه المساحة لبيان خلفية الخلاف، ولماذا يكون معوقًا لحدوث الحوار الجيد؟

وهذا ما نعرض له فيما يلي:

١ - أما عن الخلاف فإنه من سنن الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه أن جعلهم مختلفين، فوقوع الخلاف أمر مسلم به بين كل البشر، فهم مختلفون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، وفي مدركاتهم وفي عقولهم وإفهامهم وأشكالهم[١]، قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]. قال الرازي: (والمراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال)[٢]، ولكن من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أنه على رغم وجود التباين وقابلية الناس للاختلاف إلا أن طريق الحق واضح أبلج، فقد بعث الله رسوله

(١) د. صالح بن حميد: أدب الخلاف، ص ١٢.
(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، (٩٧/٥).

محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ فبيَّن هذا الدين بيانًا شافيًا كافيًا لا يحتاج بعده إلى بيان؛ لأن الهدى بمعناه ينافي الضلالة بكل معانيها، ودين الحق بمعناه ينافي كل دين باطل لا يرتضيه الله عَزَّوَجَلَّ. وجعل الله عَزَّوَجَلَّ الرد إليه وإلى رسوله عند التنازع والاختلاف، وعندئذ ينتهي الخلاف وينفض التنازع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وحيث إن الخلاف هو (منازعة تجري من المتعارضين لتحقيق حق، أو لإبطال باطل)[١]، فمتى وجد نوع من الخلاف حقيقيًّا كان أو صوريًّا، فإنه في الغالب ينتج عنه الحوار والمناقشة الذي بواسطته يحسم الخلاف، فكل قضية تطرح للحوار والمناظرة، فلابد وأن يوجد فيها خلاف أصلًا، وهذا يبين أهمية الحوار والجدال والمناظرة، إذ بدونها ينمو الخلاف ويستمر التنازع؛ فينتج الفشل، ويظهر التنافر، ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الخلاف والحوار، ويظهر أهمية الكلام عن الخلاف عند طرق موضوع الحوار وآدابه، وكذلك فإن الإطالة بمواطن الخلاف في القضية المطروحة والإلمام بأنواع الاختلاف، وما يجوز فيه وما لا يجوز مهم للمحاور حتى لا تتسع دائرة الخلاف فتحصل الفرقة والتناحر حول مسألة قد يتسع فيها الخلاف والاجتهاد، وكذلك الإلمام بأسلوب الاختلاف بين علماء الأمة وأعذارهم في ذلك يقرب من العدل والإنصاف واحتمال المخالف، وهذا من معوقات الحوار التي تبطل تحقيق أهدافه.

٢ - أما أنواع الخلاف فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

أ - خلاف محمود ممدوح: وهو ما أملاه الحق، وقصد به إحقاق الحق، وإبطال الباطل، مثل مخالفة المشركين وأهل الكتاب والرد على أهل البدع والفسوق والمجون، والتصدى لأهل الزيغ والنفاق والضلال، والوقوف أمام هجمات الملحدين والمستشرقين والعلمانيين وغيرهم. فإن مخالفة أولئك مطلب شرعي، والرد عليهم واجب ديني، وموافقتهم والتآلف معهم محرم ممقوت[٢].

(١) المرجع السابق: ص ١٢.
(٢) د. بكر أبو زيد: الرد على المخالف، مرجع سابق، ص ٤٧.

ب- خلاف مذموم: وهو ما أملاه الهوى، وكان بالباطل لدحض الحق ولإحقاق الباطل، كما هو حال أهل البدع والأهواء ومجادلتهم أهل السنة، وتعمدهم مجانبة الصواب، فإن الخلاف الواقع منهم خلاف مذموم باطل لا يقره الشرع، إذ الواجب اتباع الحق، والبعد عن التعصب والهوى، وهو ما عبر عنه الإمام الشافعي «بالاختلاف المحرم» وبينه بقوله: (كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصًا بينًا، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه)[١].

ج- خلاف سائغ جائز: وهو ما كان في فرعيات تقبل الاجتهاد، وقابلة للنقاش، مثل اختلاف الفقهاء والعلماء في المسائل الاجتهادية فهذا جائز ما لم يخرج عن حده، أو يؤدي إلى الفرقة والتنازع، ويدخل تحت هذا النوع ما سمى باختلاف التنوع وهو على نوعين أحدهما: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى. وثانيهما: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر[٢].

٣- وأما الكلام عن أسباب الخلاف فإنه طويل جدًّا. وقد كتب فيه العلماء قديمًا وحديثًا، لذلك سنقتصر على أبرز الأسباب، وقبل ذلك نذكر بعض القواعد المهمة في هذا الجانب ومنها:

أ- أن الإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى المنزل، كما أنزله يقتضي الوحدة والاتفاق، وترك الاهتداء به يورث الاختلاف والشقاق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]. فإهمال الشريعة، أو الأخذ ببعض الدين، وترك البعض هو أم المصائب، ومنبع النزاع والشقاق.

ب- أن هذا الدين قد أكمله الله عَزَّوَجَلَّ وأتمه، وقد بينه رسول الله ﷺ بيانا شافيا كافيا، وقد كان ﷺ هو مرد الصحابة عند الاختلاف والتنازع، فيحكم بينهم

(١) الإمام الشافعي: الرسالة، ص ٥٦٠.
(٢) خالد بن عبد الله القاسم: مرجع سابق، ١٠٦.

فيما يختلفون فيه من معاني القرآن أو من الأحكام التي لم تكن شرعت، ولكن بعد وفاته ﷺ، اختلفت الأمة في أحكام من الشريعة، التي لا تقضي على أصول الشريعة، ولا تطعن في مصادرها، ولكنه اختلاف له أسبابه.

والمقصود أن اختلاف الصحابة والتابعين أو العلماء بعدهم لم يغير شيئًا من الدين، ولم يتعرض لشيء من أصول الشريعة؛ بل الذكر محفوظ بكماله قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ولم يكن سبب الخلاف أبدًا هو ضياع شيء من الدين، أو نقصان أمر من الشريعة.

ج- أن نعلم يقينا أنه لا يوجد أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة، ومن ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يتعمد مخالفة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع الكتاب والسنة، وكل من اتصف بالعلم والديانة فلا بد أن يكون رائده الحق، على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الهدى ﷺ، ويمكن أن يحدث منهم الخطأ كما يحدث من غيرهم؛ لأن الإنسان وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في قوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، فإذا وجد لأحدهم قول يخالف نصًا من الكتاب أو السنة فلا بد له من عذر في تركه.

وهناك أسباب عامة للخلاف يمكن تلخيصها في ثلاثة عوامل:

١- الجهل.

٢- اتباع الهوى.

٣- التعصب.

أولا: أما العامل الأول وهو الجهل، فإنه من أسباب التفرقة والخلاف المذموم، وقد حذرنا الله من الجهل عندما ذكر صفة أهل الكتاب، وأن من أسباب العداوة بينهم نسيان العلم كما قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال سبحانه عن الأمم السابقة: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩]، والخوض: هو الاعتقاد الباطل والتكلم به، وكذلك فإن الله تعالى نهى عن الكلام والاتباع بغير العلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقد أخبر رسول الله ﷺ أن سبب الضلال هو الجهل حيث قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على بعض أنواع الجهل الذي ينشئ الاختلاف والضلال، فقال في بيان أسباب الاختلاف: (ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلا)[٢]. والمقصود أن الجهل سبب رئيس للخلاف والتفرقة، ولذلك فإن من أهم شروط المحاور وآدابه العلم بالأمر المختلف فيه، ومعرفة أدلة الشرع في القضية المطروحة للنقاش.

ثانيا: أما العامل الثاني من عوامل الاختلاف العامة فهو اتباع الهوى: والهوى هو ميل النفس إلى نيل شهوة تلائم طبعها، أو اتباع شبهة توافق عقلها. وقد ذكره الإمام الشاطبي فقال: (والثاني من أسباب الخلاف اتباع الهوى ولذلك سمى أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم (٩٨).
(٢) الإمام ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٢.
(٣) الإمام الشاطبي: الاعتصام، ج٢، ص ١٧٦.

وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة بذم الهوى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال الشاطبي: (ولم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم، حكى ابن وهب عن طاوس أنه قال: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه) وفي الحديث ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى»[1].

وهناك ضوابط يستطيع المسلم من خلالها أن يتحقق من بعده عن الهوى، أو يتقي الوقوع في مهاويه، أو يستنقذ نفسه منه إن كان قد ابتلي منه بشيء نذكرها باختصار:

١- اتباع الكتاب والسنة وجعلهما الأساس والمصدر، وعدم تحكيم العقل فيهما، أو عرض نصوصهما عليه فإن كل ذلك دافعه الهوى.

٢- اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال؛ فإن للسلف منهجًا قويما في ذلك، وقد خالفه أهل الهوى فتفرقت بهم السبل، ومن طرق الزائغين التي ينبغي تجنبها في النظر والاستدلال ما يلي:

أ- اتباع المتشابه وعدم رده للمحكم.

ب- عدم جمع أطراف الأدلة.

ج- الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

د- عدم رد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية.

فالمقصود الحذر من مسالك أهل الهوى في هذا الأمر، والرجوع إلى منهج أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم والاهتداء بأقوالهم وفتاواهم.

٣- اعتبار المتغيرات الواقعية: فحيث إن الأحكام والفتاوى الشرعية تبنى على أمرين معًا وهما:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب: مسند البصريين، باب: حديث أبي برزة الأسلمي، رقم (١٨٩٣٦).

أ- الحكم الشرعي الأصلي.

ب- الواقع المراد تطبيق الحكم الشرعي عليه، وهو ما يسميه علماء الأصول تحقيق المناط؛ فإن عدم تطبيق الحكم على واقعه الصحيح هو من طرق أهل الهوى، بل من تحريف الكلم عن مواضعه، يقول الشاطبي: (تحريف الأدلة عن موضعها: أن يرد دليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهمًا أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه، والعياذ بالله، ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه، لا يلجأ إليه صراحًا إلا مع اشتباه يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعًا)[1].

٤- التقوى والإخلاص والتجرد: فإن التقوى مع الإخلاص ضد الهوى ولا يلتقيان في عبد أبدًا. فإن من اتقى الله وأخلص نيته وجرد قصده لله عَزَّوَجَلَّ، هداه الله إلى الحق، وأرشده إلى الهدى والصواب. وليس علم من اتقى وأخلص، كعلم من كان علمه عن جفاف قلب أو سوء طوية، ولذلك فإن الله عز ووجل قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

ثالثا: أما العامل الثالث من أسباب الخلاف فهو التعصب:

وقد ذكره الشاطبي - رحمه الله - بقوله: (والثالث من أسباب الخلاف: التصميم على اتباع العوائد، وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق: وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، وأشباه ذلك، وهو التقليد المذموم)[2].

وجناحا التعصب: ضعف النفس وجهل العقل، وهو ظاهرة ذميمة تؤدي إلى التفرق والتعادى، وهو من خصال أهل الكتاب التي تكون في هذه الأمة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

(١) الإمام الشاطبي: الاعتصام (٢٤٩/١).
(٢) الإمام الشاطبي: الاعتصام (١٨٠/٢).

(فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي فلما جاءهم من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له، وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة في العلم أو الدين أو إلى رئيس معظم عندهم، فإنهم لا يقبلون من الدين - لا فقهًا ولا رواية - إلا ما جاءت به طائفتهم)[1].

فالمقصود أن التعصب والتقليد المذموم، من أكبر أسباب الخلاف وأخطرها، والتي يجب على المسلم أن يحذرها ويتركها.

ولعل ما عرضنا له في هذا الفصل الثالث من إرساء معالم الحوار وقواعده وضوابطه، وشروطه، وآدابه، ومعوقاته؛ قد أفضى بنا إلى تقديم رؤية كاملة لمنهجية الحوار، وهذا يأخذنا إلى رصد التطور التاريخي، والجذور التاريخية له، وتدرج الحوار مع الأمم السابقة والطوائف المختلفة من البشر والديانات؛ مما سيعرض له الفصل الرابع.

(١) الإمام ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٨.